روايات احلام

# امرأة من زجاج

www.Rewity.com
WWW.REWITY.COM

# امرأة من زجاج

قفز وجه الرجل من بين الجموع يحدق إلى آديل... لم ينظر إليها قطّ أحد بمثل هذا المزيج من الاحتقار والاشمئزاز، وحتى الكراهية... فتعثرت في خطواتها وسقطت الابتسامة عن شفتيها.

لم تستطع إبعاد عينيها... كانت منجذبة إلى عينيه الباردتين القاسيتين الزرقاوين وشعرت بالعجز كفراشة مثبتة إلى لوحة...

من هو؟ لماذا يجعلها جديرة بهذا الاحتقار؟ ولماذا يهمها أن تغيّر رأيه فيها؟

«... كان كل ما فكّر فيه لوغان ردفورد عندما رآها أنها كأمه... عابثة، مستهترة، تجيد تحطيم قلوب الرجال... وهذا النوع من النساء يكرهه!»

www.Rewity.com

# ١ ـ زهرة بين الأقدام

بدا أن سائق التاكسي ينوي قتلهما معاً لكن لوغان ردفورد تجاهل زمامير السيارات المتواصلة والقبضات الملوّحة وصرير الإطارات، لأنه يعلم أنها كلها جزء لا يتجزأ من ضغوط قيادة السيارات في شوارع «مونتريال».. تقدم في وسط ازدحام السير الخانق ووسط لعنات السائقين. أخرج رسالة من جيبه ليقرأها مرة أخرى فبدت في عينيه الزرقاوين القاتمتين حيرة.. إنها من «التانت كاسندرة» وهو الآن يستجيب لدعوتها.

«عزيزي لوغان.

وقع أمر عاجل جعلني غير قادرة على معالجته فهل لك أن تأتي لإنقاذ سيدة عجوز عاجزة؟ سأقدر لك هذا كثيراً، وستسرني رؤيتك مرة أخرى لقد مضى زمن طويل على آخر مرة رأتني فيها. أخبرني بموعد وصولك لأطلب من كريستوفر إعداد قالب كاتو بالشوكولا.

محبتك إلى الأبد.

تانت كايسي».

تانت كاسندرة شقيقة أمه المتوفاة هي أبعد الناس عن أن تكون عجوزاً عاجزة.. في الواقع هو لا يعرف عمرها بالضبط فذلك سر تحافظ عليه بشدة.. مع أنها أكبر من أمه بما لا يقل عن عشر سنوات وهذا يعني أنها في السبعينات. ولكنها رغم عمرها ترتدي ثياب فاضحة وتزج نفسها في قضايا



WWW.REWITY.COM

نبيلة بحماس متهور يوازنه من جهة أخرى عقل عملي ثاقب. . أما سبب حاجتها إليه لينقذها فأمر يجهله، لكنه يعرف أن الزيارة مسلية وهذا يكفيه.

توقفت سيارة الأجرة أمام منزل «التانت كايسي» الآجريّ الضخم. فنقد لوغان السائق أجرته وترجل من السيارة. كان يرتدي معطفاً من الصوف الكحلي اللون وبزة سوداء تدل على أناقة رجل لا يقلق على القرش من أين يأتي. عبثت ريح كانون الثاني بشعره الأشقر. . تسلق الدرج الذي يفضي إلى الباب الأمامي الضخم وهناك لم يدهشه أن تلمع مسكة الباب وصندوق البريد في الشمس الشاحبة النور، أو أن الشرفة نظيفة خالية من الثلج. . فالخالة كايسي لم تكن قط غارقة في قضايا الخير بحيث تتجاهل أسباب راحتها.

كانت الخادمة صغيرة وجميلة. . نظرت إلى لوغان نظرة طويلة قبل أن تدخله.

قال لها: «أرجوك! أبلغي السيدة فورسيت أن ابن أختها لوغان ردفورد هنا».

تنشق رائحة زيت الليمون ودهون التلميع التي تميّز ردهة تانت كايسي منذ زمن طويل، وحسب قول خالته: «ليست النظافة فضيلة بغيضة».

عادت الخادمة التي أرسلت خصلات شعرها إلى الوراء دونما حاجة إلى ذلك فأرشدته إلى غرفة الجلوس ذات الأبواب الزجاجية المرتفعة المطلة على حديقة واسعة مغطاة بالثلج. كانت أسراب من طير الزرياب الأزرق، أو ما يسمى «بأبوزريق» والقرقف والدوري تجتمع حول منصات إطعام طيور مليئة بالحبوب. . فهل هذه هي القضية الإنسانية الأخيرة؟

وجد تانت كايسي جالسة بتألق ملوكي على كرسي مخملي ترتدي بذلة رياضية قرمزية تلتصق بجسمها وتتزيا بكثير من الحلي الذهبية والاحجار الكريمة. . شعرها مصبوغ بلون ليلكي أنيق. . مدت أصابعها الأرستقراطية وانحنى لوغان أمامها بوقار مماثل، وقبلها وابتسم لعينيها



البنيتين المتقدتين.

ـ مرحباً خالتي المفضلة.

ـ هذا ليس مديحاً لأنني خالتك الوحيدة.

لكن شفتيها المتجعدتين ابتسمتا.

ـ هل ازداد التهاب المفاصل سوءاً؟

وضعت يديها في حضنها وقالت بتعال:

ـ أنا أتجاهله. . كيف حالك لوغان؟ لم أرك منذ مدة.

ـ بالتحديد منذ ستة أشهر وثلاثة أيام.

ـ وقت طويل.

فجأة أحس بالتعاطف مع هذه المرأة التي لن تعترف أبداً بالوحدة، ولن تتوسل بكل تأكيد من أجل رفقته. . لكنها على حق، لقد أهملها كثيراً مؤخراً.

قال بلطف:

ـ أنا آسف. . كنت مشغولاً كثيراً. . إنما هذا ليس عذراً مقبولاً.

ـ وأين كنت هذه المرة؟

ـ في فانكوفر ولوس أنجيلوس. مؤسسة استيراد وتصدير ومؤسسة صناعة ألبسة.

ـ بم استمتعت أكثر؟

كان يجلس قبالتها على مقعد توأم لمقعدها، لكنه نهض ودنا من النافذة ليراقب الطيور المنقضة على طعامها.

ـ أوه. . إنهما على حد سواء. . روتين مطبق.

ـ يتقلب كل شيء إلى روتين. . أليس كذلك لوغان؟

من الممكن الاعتماد على تانت كاسندرة لتطرق لب الموضوع مباشرة، لكنه قادر على أن يكون صادقاً معها:

ـ أجل. . في البداية كنت أستمتع بعملي. . شراء مؤسسة ما تكون في



WWW.REWITY.COM

ورطة حقيقية، ثم تحديد المشاكل المتعددة ومصادرها، وإعادة المسار كله على أساس إعطاء المكاسب، أو فرض تغيير أساسي في الاتجاه..

لكنني قمت بذلك بشكل دؤوب.

- مع ذلك فأنت ناجح.

- وهذه سخرية القدر. عندما كنت أكافح لأقتصد كنت أجد في الأمر عناء ممتعاً أما الآن بعدما بتّ قادراً على وضع السعر الذي يناسبني أصبحت أشعر بالضجر من الأمر كله.

نظرت العينان البنيتان إليه بمكر:

- آن وقت التغيير.

- ما أسهل القول وأصعب الفعل!

- أتعني أن المال أصبح غاية بحد ذاته؟

أطرق رأسه ساخراً من نفسه على بزته المفصلة تفصيلاً لا عيب فيه.

- هذا ليس صحيحاً.. حتى الآن.. لكن لو طال بي الأمر أكثر، فقد يصبح هكذا.

قالت الخالة كايسي بحدة:

- إذن حان وقت التغيير.. هل لديك التزامات ضاغطة في الوقت الحاضر؟

- ليس لدي ما لا يمكن تأجيله.

- إذن سأطلب منك معروفاً.

قال مازحاً: فهمت الموقف على نحو خاطىء.. جئت أنقذ سيدة عجوز.. عاجزة.

- يا إلهي.. وهل قلت أنا هذا؟ لوغان.. أريد منك أن تسافر إلى لويزيانا من أجلي.

رفرف عينيه.. وتمتم:

- أنت قادرة حقاً على مفاجأتي.



- اجلس.. هيا.. أنت توترني بتجوالك حولي هكذا.. اسمع أنا مضطرة إلى إضجارك إذ سأسرد عليك أمراً حصل قديماً.

جلس كما طلبت وهو يقول:

- أنت لا تضجرينني أبداً، تانت كايسي.

- هذا ما أرجوه.. منذ سنوات عديدة، كنت أدرس في مدرسة خاصة في أونتاريو ومنذ ذاك الحين وأنا على اتصال مع عدد من الصديقات اللواتي كن زميلاتي.. ولكن بينهن صديقتين مميزتين: ماود وهيستر.. أما ماود فماتت منذ ثلاث سنوات. وأما هيستر فما تزال حية وهي تعيش في نيو أورلينز ولكنها سيدة عجوز عاجزة مثلي.

مدت يدها إلى رسالة موضوعة على طاولة من خشب الموهوغوني المحفور وأضافت:

- سمعت أخبار هيستر في الأسبوع الماضي. ولهذا السبب كتبت لك الرسالة. ابنة ماود الصغرى آديل التي تعيش حالياً في نيو أورلينز، وتعمل في نادٍ ليلي تعاني من مشاكل مادية.. لا شك أن ماود تتقلب في قبرها.. ولدى هيستر التي تنظر إلى الحياة نظرة متحررة شكوكها فهي تقول إن الفتاة تعاني من مشاكل مادية.. ولأن هيستر هي صديقة قديمة لأمها عرضت عليها المساعدة، لكن آديل سرعان ما أغلقت الباب في وجهها.

نظرت الخالة إلى خارج النافذة وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة:

- كنت أحب أن أرى هذا.. هيستر قوة لا يستهان بها.. على أي حال، لم تتوصل إلى مساعدة آديل لامبرت.. التي ما تزال حسب علمي تعمل في نادٍ ليلي.

ران صمت مشبع بالمعاني قال لوغان على إثره:

- ومن يفترض بي إنقاذها؟ هيستر المهزومة أم آديل المعوزة؟

- الآن لوغان.. لا تصعّب عليّ الأمر..



WWW.REWITY.COM

- تانت كايسي.. منذ سنوات وأنت ترمين الجميلات في طريقي بغية تزويجي، لذا يجب أن تغفري لي إن ارتبت في دوافعك قليلاً.

- لا أريد تزويج الفتاة! بل أريد فقط معرفة ما إذا كانت في مشكلة حقاً.. وإن كان ذلك صحيحاً أطلب منك تصحيح الوضع من أجل هيستر.

- سألاقي بلا شك مصير هيستر.

- الأمر عائد إليك فأنت قادر على وضع خطة تمنع هذا. ما دام بإمكانك إدارة مؤسسة متعددة الجنسيات، فهل تعصى عليك فتاة صغيرة كهذه؟

- أنت غامضة.. ألم تعطك هيستر تلميحاً عن طبيعة تلك المشكلة؟

دست الخالة بسرعة خاطفة رسالة هيستر في حقيبة كتف قرمزية كثيابها.. وتجنبت النظر إلى لوغان وقالت:

- أبداً.

لكنه لم يُخدع.

- إذن في الأمر أكثر من التقاء العيون، وتستحقين أن أرفض الذهاب.

نظرت إليه وفي عينيها توبيخ.

- لا، أرجوك لا ترفض لوغان!

- تعرفين أنني لن أرفض.. فأنا لا أستطيع قول «لا» لك.. ما شكل تلك الآنسة التي تحتاج إلى النجدة؟

- ليس لدي فكرة.

قال لوغان بجفاء:

- إنها جميلة بدون شك؟ فالمغنيات في النوادي الليلية يكن جميلات إن لم يكن لديهن صوت جميل.

- لك على ما يبدو خبرة واسعة بمثل هؤلاء.

- تعرفينني أكثر من هذا.



- لوغان..

صمتت الخالة التي نظرت إلى أصابعها المفضّنة بعينين مضطربتين. فقال بخفة:

- لا تبدئي بهذا حبي.

- عزيزي.. عاجلاً أم آجلاً ستكون مضطراً إلى حل هذه المشكلة.. هذا الرهاب المرضي من النساء.

- ولماذا؟

- سأبدو حساسة عاطفياً ولكنني لا أستطيع سوى هذا، تعرف أنني وتيم لم ننجب أطفالاً، وأنك ابن جيرالدين الوحيد. وأنت الأخير، لوغان.. وكم أود لو أحمل ابنك بين ذراعي قبل أن أموت..

سبق أن ناقشا مثل هذه الأمور، ولكنها لم تتوسل قط مشاعره بمثل هذه الصراحة. إنه لا يريد أن يجرحها، ولكنه لا يريد أن يواجهها بغير الحقيقة.. لذلك اختار كلماته بدقة، وقال:

- كنت أماً لي منذ سنوات، لذا أعتقد أنك ترغبين في رؤية أحفاد من صلبي ولكن لا تتوقعي مني أن أتزوج امرأة من أجل إنجاب طفل تهدهدينه في حضنك.

- أريد لك السعادة لوغان، وجزء من السعادة هو إعطاء وتلقي الحب.

- تعرفين أنني أحبك.

ردت بنفاد صبر:

- أريد أن تقع في الحب كما وقعت يوماً في حب تيم وأريد أن تضحك وتبكي وتقاتل.

تمالك لوغان أعصابه:

- تانت كايسي، أعرف أن أمي جيرالدين أختك.. لكنها كانت أمي أيضاً.. تعرفين أن ماضيها يجعلني أرفض فكرة الزواج.



WWW.REWITY.COM

ـ جيرالدين كانت.. ما هي تلك الكلمة الحديثة المريعة؟ مريضة جنسياً.. ولأنها كانت كذلك عليك أن تشعر بالشفقة عليها لا ازدراءها.

قاطعها بوحشية:

ـ لقد قتلت أبي بعلاقاتها المشينة التي لم تكن تنتهي.

ـ وذلك ما جعلك غير مقتنع بأنه والدك.

نظر لوغان إليها وفي عينيه الزرقاوين كآبة.. لم يعرف أنها تعرف بأمر شكوكه هذه..

رد عليها ببرود خطير: هذا صحيح.. قد يكون أبي أي رجل ممن أقامت علاقة معهم.. علينا أن نهتتها.. فقد كنت طوال تلك السنوات الهفوة الوحيدة التي ارتكبتها.

أغمضت تانت كايسي عينيها، فبدت للحظات كما هي حقاً.. امرأة عجوز هشة، مرتدية ألواناً تحرم بشرتها من كل حيوية:

ـ المسألة أن والاس أكان والدك أم لا، أحبك كما يحب الأب ابنه.

ساد صمت يشوبه شبح والاس ذي الابتسامة المرتبكة والعينين المعذبتين وشبح جيرالدين الجميلة الصهباء التي تفقد أي اهتمام لها بالرجل بعدما تعاشره. أخيراً قال لوغان:

ـ أنت على حق.. لقد أحبني. أنا آسف ولم أقصد أن أفقد أعصابي.

ـ بل كان عليك البوح بذلك لأنه يساعدك.. لكن لوغان اسمح لي أن أقول بوضوح.. فإن كانت جيرالدين فاسدة فهذا لا يعني أن كل النساء مثلها.. أنت ذكي بما فيه الكفاية بحيث تدرك هذا.

ـ لا علاقة للذكاء والتعقل بهذا كله. أحب أبي أمي التي لم تجلب له سوى البؤس والعار، أذكر بعض المشاهد التي كانا يتشاجران فيها.. كانت تتوسل إليه حتى يبقى في المنزل، ثم تعده بالإخلاص والوفاء بعينين دامعتين ولكنها سرعان ما كانت تحنث بوعدها وتعود إلى الخروج تاركة إياه وحيداً في ذلك المنزل الكبير. تكرر ذلك المشهد مراراً وتكراراً بحيث



لم أستطع قطُّ نسيانه. ولعل تكراره قتل شيئاً في نفسي.. الاندفاع إلى الحب أو القدرة على الحب لا أدري.

ـ لكنك لا تحيا حياة ناسك، أنت تعاشر النساء.

ـ أنا أُشاهد في المكان المناسب، في الوقت المناسب مع المرأة المناسبة ولكن هذا كله مهزلة.. إذ لم أتورط قطُّ عاطفياً ولن أتورط أبداً.

وكأنما لم تستطع كبت ما في نفسها إذ التفتت إلى الحقيبة التي تضم بين جنباتها الرسالة المتعلقة بآديل لامبرت.. وتمتمت:

ـ الأبد زمن طويل.. لوغان.. هل ستذهب إلى نيو أورليتز من أجلي؟

هكذا عادا إلى نقطة البداية.

ـ أجل.. سأذهب. لكن لا تتوقعي مني الكثير.. فالفتاة تتمتع على الأرجح بوقتها في ذاك النادي الليلي.. على الرغم مما تظنه صديقة أمها.. أو ربما بسبب ما تظنه.. من يدري.

ـ لا تكن ساخراً.. أنا مستعدة لتمويلها لتتم دراستها الجامعية، وإن أرادت المجيء إلى كندا فسأساعدها على الاستقرار في عمل هنا.. لا تظن أنك ستجد مخلوقة رائعة مثقفة، لوغان.. فإن كانت الوراثة شيء تستدل به فقد تجد شابة متزمتة لائقة رغم عملها في النادي الليلي.. كانت أمها ماود متزمتة يوم التحقت بالمدرسة الداخلية ولكننا غيّرنا هذا فيها بسرعة.

ـ أراهن أنكن فعلتن هذا.

تنهدت الخالة: تزوجت ماود في وقت متأخر من عمرها بمصلح مستقيم من «نيوانغلند»، ذلك النوع من الرجال الذين يدعوهم المرء عماد الاستقامة وقام بإفساد كل ما بذلناه لتغييرها.

ـ وهذا ما يجعلني أتصور أن ابنتها آديل تتمتع في النادي الليلي.. ربما تتمرد على تلك الرموز الأبوية، وما شابه هذا.

ـ تريد أن تكون لك الكلمة الأخيرة دائماً، وأن تظن سوءاً بالفتاة التي



WWW.REWITY.COM

لم تلتق بها من قبل.. لكن عملك في الحياة هو إساءة الظن بالجنس الآخر. أليس كذلك؟

ـ دعك من هذا.

أصابت هدفها في الصميم وهذا ما أرضاها.. عندئذ ارتدت إلى الوراء راضية:

ـ لماذا لا تسكب لنا المزيد من القهوة لوغان؟ اسمع ستبقى للعشاء..

غطت تلك اللحظة الكريهة بحديث مهذب.

ـ أتظنين أنني سأغادر منزلك دون بعض حلوى كريستوفر بالشوكولا؟

وقف ليسكب فنجاناً من القهوة لخالته:

ـ سأتصل لأحجز.. وسأراجع ماري لو فلدي إحساس بأن على لائحتي مصنع تكرير للسكر في نيوأورليز.. وبهذا أقتل عصفورين بحجر واحد.

ماري لو هي مساعدته المنفذة التي تشرف على المكتب الرئيسي لمؤسسته الاستشارية في تورنتو..

قدّم الفنجان لخالته قائلاً:

ـ أعذريني بضع دقائق.

بعدما ترك الغرفة وضعت الخالة قهوتها على الطاولة، وأخرجت رسالة هيستر لتعيد قراءة صفحتيها بعناية.. لم تكن الرسالة غامضة فيما يتعلق بمشاكل آديل لامبرت بل هي تانت كايسي، الغامضة. صحيح أن وراء هذا الغموض نية طيبة ولكنها الآن بعدما شاهدته لم تعد متفائلة كثيراً في آمالها التي كانت ترعاها...

***

لم يغادر لوغان الفندق قبل الثامنة والنصف. كان الوقت ظلاماً والجو ممطراً طوال اليوم، لذا بدت الشوارع تلمع وكأنها مصقولة بوهج ذهبي انعكاساً لأنوار صفراء قديمة الطراز.. إنها الزيارة الأولى التي يقوم بها إلى



نيو أورليز، مع أنه سمع بها من قبل. كانت شوارع «فيوكارية» المرصوفة بحجارة سوداء مربعة مكتظة بالناس المرتدين ملابس عشوائية والحاملين مظلات والضاحكين الملتقين حول مداخل المقاهي والمطاعم والنوادي الليلية. سار لوغان الهوينا، ويداه في جيبيه وعيناه لا تستقران أبداً.. المباني المزخرفة بالحصى التي تحد الأرصفة غير المستوية تعود إلى عصر آخر بمصاريع نوافذها الخشبية المطلية وشرفاتها التي تحيط بها سياجات حديدية متقنة الصنع.. أما السماء والشوارع فتحكي عن أسلاف فرنسيين: «بوربون، تولوز، شارتر، سان لويس» وفكر: بالأمس فقط كان في مونتريال وهو مركز آخر للامبراطورية الفرنسية التي كانت يوماً ممتدة على طول القارة.

على وقع حوافر وصرير دواليب خشبية مرت مركبة يجرها جواد.. وعاد لوغان إلى حاضره مجفلاً وتذكر أن عليه التعامل مع آديل لامبرت هذه.. وحثّ خطاه وهو يفكر في قضاء بضعة أيام هنا ليستمتع بهذه المدينة التي أراد زيارتها مراراً.

لكن صَعُبَ عليه السير بسرعة في «الڤيوكاريه» فثمة أمور كثيرة تلهيه.. مجموعة مهرجين يقفزون مرحاً تحت مظلة شرفة.. وجوقة موسيقية صغيرة تسير في استعراض فوق الرصيف..

رأى صفاً طويلاً من الناس خارج الملهى الذي أعطته عنوانه خالته. كان عليه اصطحابها لتتعامل بنفسها مع آديل لامبرت. انضم إلى الصف وأخذ يصغي إلى اللكنات المختلفة حوله.. تحرك الجمع ببطء نحو الفناء المرصوف بالحصى الكبيرة والمحفوف بأشجار النخيل، ثم اتجه بغير نظام إلى المدخل.. هناك، وسط مجموعة غرباء، وعلى بعد آلاف الأميال عن الوطن، سمعها لأول مرة.

كانت تغني بروعة أغنية شعبية معروفة «النهر العجوز».. كلمات الأغنية الكئيبة اللحن تصدح في الأرجاء. كان صوتها من النوع الرنان،



WWW.REWITY.COM

الرخيم، العميق، الواثق، فيه شيء من البحّة أطبقت على عنق لوغان.

على أي حال، لم تحظ بالاهتمام الذي يستحقه صوتها.. فمن داخل الملهى تعالى ضجيج الناس وضحكاتهم وفيما كان واقفاً اندفعت جماعة من الشبان الخارجين إلى الردهة، وهم يتمازحون ويتبادلون ملاحظات بصوت مرتفع، متجاهلين نغمة الأغنية الحزينة.. لكن بعد رحيلهم تحرك الصف مجدداً.. في هذه المرة دخل لوغان.

ابتعد عن الباب ليقف مستنداً إلى الجدار. سيبحث عن مقعد متى انتهت الأغنية.. شاهدها ولسبب غريب عرف أنها آديل لامبرت المرأة الشابة التي قطع أميالاً وأميالاً ليساعدها.. كانت جالسة على منصة في مقدمة المسرح. تعزف على بيانو أسود ضخم.. استطاع في المرآة الكبيرة التي تغطي الجدار خلفها أن يرى يديها تتجولان على المفاتيح بسهولة وبراعة.. عبر ضباب من الدخان الكثيف انطبع في رأسه تفاصيل مظهرها: الشعر الأجعد المتموج، المشعث ببراعة فنية، بلونه العسلي الممزوج بلون الكاراميل، والعينان الكبيرتان.. هل هما زرقاوان أم ليلكيتان؟ وانطبع في رأسه أيضاً الثغر الأحمر المكتنز. كانت ترتدي سروالاً أسود مع قميص بنفسجي، أكمامه الطويلة مضمومة بشدة عند المعصمين. وكان ثوباً مثيراً مع ذلك كانت الفتاة تُصدر من حولها حساسية دخانية تتناسب مع صوتها الرقيق العميق..

ما إن أنهت الأغنية حتى انفجر التصفيق والهتاف والصفير والمواء، ثم تعالى من زاوية بعيدة صوت رجل:

ـ ابدئي الخلع يا جميلة!

مالت الفتاة إلى المذياع:

ـ لا أستطيع هذا حبيبي.

كشفت ابتسامتها العريضة عن أسنان رائعة، وتصاعد الضحك. وكأنما أحست بتغير المزاج فتحولت إلى أغنية سريعة تتحدث عن مغامرات



امرأة شابة اسمها سوزي بهذا حكمت على مزاج الجمع المرح بدقة.. وأخذت تعلمهم الكلمات وهي تغني.. وسرعان ما كان الملهى كله يضج بالغناء والضحك.. ثم حوّلتهم إلى أغنية أخرى «زهرة تكساس الصفراء» فشاركها فيها الجميع بسرور.

شق لوغان طريقه إلى أقرب كرسي وجلس، ثم طلب شراباً من الساقي. وأخذ يراقب الفتاة وهي تتلاعب بالجمع جيئة وذهاباً، وصلت ردات فعل الجمع إلى حدود اختراق الحشمة، لكنها تمكنت من السيطرة على الوضع بدون أن تفقد سيطرتها وبدون أن تغضب.. إنها، وهذا ما يجب أن يعترف به، مهنياً بارعة في عملها.. وهو جالس هناك تبين له أن هذه الفتاة التي تعيش وتزدهر على مواء القطط والصفير بكل ما تعنيه هذه النداءات من إثارة هي قطعاً ليست مخلوقة صغيرة تحتاج إلى حمايته..

أعلنت في المذياع أنها ستستريح عشر دقائق ثم نهضت ونزلت درج المسرح برشاقة.. كانت طويلة، نحيلة، زاد من طول قامتها كعبان مستدقان أما شعرها البرّاق فكان يشع تحت الأنوار.

لاحظ لوغان بطرف عينه رجلاً يشق طريقه في القاعة متعثراً بالطاولات.. رجلاً ضخماً يرتدي سروالاً من الجينز وقميصاً مفتوح الياقة.. لكن آديل لامبرت لم تره إذ كانت توقع على المناديل وعلى دفاتر المذكرات، وتتحدث إلى الزبائن وهي تمر بين المقاعد المكتظة.. أصبحت الآن أقرب للوغان، فوجد أنها جميلة فعلاً كما ظنها.. ولم يكن يرغب في أن يراها جميلة. أخذ يقاوم سحر صوتها الدافىء الساحر، فأراد أن يصرف النظر عنها معتبراً إياها مضيفة في ناد ليلي. قد تكون امرأة عابثة مسهترة تسعى إلى قضاء وقت مريح.. ولكنه لم يشأ أن يراها بمثل هذا الجمال الذي استحوذ على قلبه وكأنه ولد صغير لم ير قط امرأة جميلة.

توقفت أطول من اللازم أمام طاولة يجلس إليها زوجان عجوزان من زبائنها.. في هذا الوقت تقدم الرجل ليمسك بها من الخلف ثم أخذت



WWW.REWITY.COM

يداه تعبثان بقميصها وكرر متلعثماً: اخلعيه.

لم يرَ لوغان يدها القابضة على طرف الطاولة التي أصبحت بيضاء لشدة الضغط.. فلم يرَ إلا أنها استدارت بين ذراعي الرجل لتقول له شيئاً لم يسمعه لوغان، لكن ما قالته جعل جميع من حولها يضحك.. ثم وصل أحد السقاة السمر الضخام الجثة إلى جانبها وتحررت بسرعة من العناق الخشن. ثم تابعت المسير مبتسمة وكأن شيئاً لم يكن.

التوت شفتا لوغان ازدراء.. لا شك أنها اتفقت على موعد مع الرجل.. وكأنما المشاهد عادت لتتكرر أمامه، فشاهد أمه الصهباء وسمع صوتها الرقيق الساحر المثير يطلق الوعود.. ونظر إلى آديل لامبرت، ووجهه قناع تمرد وعيناه كقطعتي ثلج.. ثم وكأنما حدة مشاعره وصلت إليها فقد ارتدَّ رأسها لتواجهه..

* * *



WWW.REWITY.COM

## ٢ ـ امرأة مستعملة

قفز وجه الرجل من بين الجمع يحدق إلى آديل . . لم ينظر إليها قط أحد بمثل هذا المزيج من الاحتقار والاشمئزاز، وحتى الكراهية . . تدافعت الكلمات الكريهة إلى رأسها فتعثرت خطواتها . وسقطت الابتسامة الجاهزة عن شفتيها .

لم تستطع إبعاد عينيها . . كانت منجذبة إلى عينيه الباردتين القاسيتين الزرقاوين وشعرت بالعجز كفراشة مثبتة إلى لوحة . ثم أمسك أحدهم كم قميصها وانكسرت تعويذة السحر .

كانت سيدة صغيرة الجسم زرقاء الشعر، أرادت منها أن توقع لها بطاقة بريدية لمنظر جميل في «فيوكاريه» . سجلت آديل التمنيات الطيبة بشكل آلي ثم اتجهت إلى باب الموظفين الذي يقود إلى ردهة صغيرة وغرف اغتسال الموظفين . . أبقت عينيها بعيداً عن الرجل الجالس قرب الجدار وأرعبها أن تشعر أن هذا أمر يتطلب جهداً فعلياً . وكم أحست بالراحة عند دخولها إلى غرفة جلوس صغيرة حيث نزعت حذاءها وتمددت مغمضة عينيها .

لكن إغماض عينيها دفع إلى جفنيها صورة محددة المعالم لوجه الرجل . . إنه وجه يحب المرء أن ينظر إليه أكثر من مرة، ويرغب في أن يرى عليه الابتسام والضحك . . ولكنها لم ترَ ظلاً لأية ابتسامة في تلك النظرة الممعنة المريرة المميزة .



WWW.REWITY.COM

من هو؟ لماذا يجدها.. وفتشت عن الكلمة المناسبة: جديرة بهذا الاحتقار؟

إنها أسئلة لا تستطيع الإجابة عنها. بعد قليل نهضت لتجلب شربة ماء، ثم أصلحت أحمر شفاهها بدقة، فنيل هارلو، مدير الملهى متشدد كثيراً فيما يتعلق بماكياج نجمته، وانزعج حقاً حين رفضت استخدام اللون الأرجواني الصارخ الذي أهداها إياه ليتناسب مع بلوزتها الموف.

يا إلهي.. إنها متعبة.. ليلة أمس عملت حتى منتصف الليل، وكان يوماً محموماً أكثر من المعتاد، وعليها أن تعمل ساعة أخرى.. وإن اضطرت إلى غناء أغنية «سوزي» مرة أخرى فستنهار. كما أن الدخان كثيف جداً وهو أسوأ من العادة.. وهناك فوق هذا كله المعجبون الذين يتهافتون عليها بلا انقطاع. وهذا أحد مخاطر هذه المهنة التي اعتادت أن تتجنبه. أحست آديل أن نظرة الاحتقار والاشمئزاز قد زادت إلى تعبها تعباً وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير.

وبدأ غضبها يتحرك.. كيف يحق لهذا الرجل أو لأي رجل أن يحكم عليها؟ إنها تقوم بعملها، وهي تقوم به على أكمل وجه.. فإن لم يعجبه هذا فليخرج وليذهب إلى مكان يناسب ذوقه..

نظرت إلى ساعتها.. لقد انتهت الدقائق العشر. لماذا تمر فترات الراحة بسرعة بينما الدقائق وراء البيانو تطول إلى ما لا نهاية حتى تكاد ترغب في الصراخ؟ هذا سؤال آخر لا رد عليه.. ونفضت غباراً خفيفاً عن سروالها وانتعلت الحذاء من جديد.

لزمتها قوة إرادة كبيرة لئلا تنظر إلى الجدار. وفيما توجهت نحو البيانو محنية رأسها آلياً للتصفيق والتحيات رأت المنظر أمامها بعيني غريب.. الأنوار الضئيلة، الرجال والنساء مجتمعين، قرقعة الموائد وجلبة الحديث.. عندما تكون في مزاج رائق ترى هذا الحشد جماعة من الناس الباحثين عن المرح والاسترخاء والساعين إلى الصحبة البشرية



والدفء.. ولكنها عندما تكون في مزاج غير رائق وهذا هو حالها الآن ترى المنظر وكأنه مدخل إلى جهنم، عابق بالدخان، عرض مثير يقوم مقام أي تواصل حقيقي..

جلست إلى البيانو تكيّف المقعد الخشبي وتدني المذياع منها.

ـ مساء الخير سيداتي سادتي... أنا آديل لامبرت، وأنا هنا لأسليكم حتى منتصف الليل.. هل بين الجمع من هو من كنتاكي؟

تعالت الأصوات من طاولة في المنتصف، فدخلت مباشرة في جو أغنية: «بلدي العتيق كنتاكي» وأتبعتها بأغنية مرحة، وانتظرت إلى أن ضجّت القاعة بالأصوات لتخاطر بإلقاء نظرة إلى ذاك الجدار.. وجدته هناك، بعيداً كل البعد عما حوله.. لماذا جاء ما دام لا يسعى إلى الناس والضجيج والضحك؟

ربما لأنها ركزت على تجاهله وجدت الوقت يمر بسرعة أكثر من المعتاد.. وعلى الرغم من الاحتجاجات المتصاعدة عزفت آخر أغنية لها وتبعت المغنية التالية التي ستصل إلى المسرح بعد عشر دقائق. نهضت تريد المغادرة وفيما كانت تنزل عن المسرح رأت الرجل ينهض أيضاً. تشنجت أعصابها. كفاها ما تعرضت إليه منه في نهاية الوصلة الأولى، فالآن لا تملك الطاقة لتتعامل مع مواجهة أخرى. لسبب ما، لا تظن أنه وقف ليغادر.. لا.. بل له غرض آخر.

لو استطاعت السير بسرعة إلى غرفة الاستراحة لتمكنت من تجنبه.. لكن الزبائن أرادوا مكالمتها وراحوا يطرحون أسئلة عليها: من أين أنت؟ هلا تغنين أغاني إيرلندية؟ وأسئلة أخرى كهذه.. وكما أشار إليها نيل مراراً وتكراراً: الزبائن أولاً.. لذا اضطرت إلى التريث في المسير للإجابة عن هذا ولتتحدث إلى ذاك وما إن وصلت إلى الباب حتى كانت بديلتها قد وصلت إلى المسرح، أما ذاك الرجل فكان ينتظرها عند الباب وهو يقول بود مهذب:



WWW.REWITY.COM

- عذراً.. هل لي أن أتحدث إليك دقيقة، آنسة لامبرت؟

كانت كلماته منتقاة ولكنه لم يحاول أن يبتسم وبدا صوته خالياً من كل شيء كعينيه. أخذ الغضب الذي كان يغلي في أعماقها منذ رأته مأخذاً أشد قوة في نفس آديل.. فليذهب نيل هارلو وقوانينه إلى الجحيم!

قالت بقسوة وهي تمد يدها لتفتح الباب:

- لا.. أخشى ألا أستطيع.

أمسك مرفقها بيده وكانت لمسته غير عادية ففيها قوة وحزم.

- قطعت مسافة كبيرة لأراك.. وسأقدر لك حقاً..

لم تعطه الفرصة لينهي كلامه بل حدقت إليه من بين أهداب سوداء كثيفة، وصاحت:

- أرجوك.. دعني..

لم يرد عليها بل الواقع أن قبضة يده ازدادت على ذراعها.

- أرسلتني خالتي وهي صديقة...

لم يكن شعر آديل أحمر.. لكن طبعها حاد أكثر من أية امرأة حمراء الشعر.

- لا أرغب في مكالمتك.. أرجوك، دع ذراعي!

قال أحدهم بصوت عميق: ألديك مشكلة آديل؟

تنفست الصعداء.

- أوه.. موريس.. أجل.. فهذا.. السيد المهذب.. يزعجني.

لفظت كلمة السيد المهذب بطريقة ساخرة وهي غير آبهة إن وجهت له إهانة أم لم توجه.

طالما اعتبرت موريس طويل القامة.. ولكن الغريب البارد العينين كان أطول منه بإنشين على الأقل مع أن ذلك لم يربك موريس الذي كان ممتلىء الجسم، أسود الوجه فقد كان يوماً بطل مصارعة، وهو يعمل دوامين في الملهى ليجمع مالاً يكفيه للانخراط في الجامعة في الخريف



المقبل. وقد أنقذ آديل مراراً من تحرشات رجال جذبهم جمال جسدها أكثر من غنائها.

قال موريس بلطف:

- الآنسة لامبرت الآن خارج وقت عملها، سيدي.. لذا ابتعد عن طريقها.

ران صمت ملؤه التوتر.. بدا واضحاً لآديل أن الغريب غير خائف من أي تهديد جسدي يمثله موريس.. لكنه على الأرجح كان يرجح عوامل أخرى.. أخيراً قال مخاطباً موريس بصوت جاف وأنزل يده عن ذراعها وكأنه كان يمسك حيّة سامة:

- أرجو منك أن تشرح للآنسة لامبرت أن معي رسالة لها من خالتي في كندا.

ردّ صوت آديل الأجش الرنان بجفاء مماثل:

- لا أعرف أحداً في كندا.. عمت مساء موريس.

عبرت الباب وأسرعت إلى غرفتها.. راعتها تلك المقابلة الصغيرة ولكن أكثر ما راعها في الأمر استجابتها للمسة يده، إذ شعرت رغم سماكة حرير بلوزتها بدمغة كل إصبع على لحمها وبقوة يديه وجسده النحيل المتوتر.. نظرت إلى نفسها في المرآة عابسة.. ليس لديها وقت لتعقيدات كهذه.

لديها دقيقتان لتبدّل حذاءها بآخر منخفض الكعبين.. ثم ما لبثت أن ارتدت معطفها الواقي من المطر، وربطته بشدة. رمت حقيبتها فوق كتفها وخرجت من باب غرفة الاغتسال إلى الممر الخلفي الذي يفضي إلى الشارع.. توقفت في الباب مترددة لحظة عندما لمحت جسماً طويلاً نحيلاً.. كان المطر ينهمر وكانت مرهقة.. وربما عليها الإسراع لاستئجار سيارة.. لكن التوأم بحاجة إلى أحذية لذا يجب ألا..

- الآنسة لامبرت!



WWW.REWITY.COM

ارتدَّ رأسها بحدة مع أنها عرفت الصوت لحظة سماعه واتخذت القرار: يجب أن تستقل سيارة أجرة. . أمسكت حقيبتها بشدة وحاولت السيطرة على الغضب الذي يعتمل في داخلها. قالت: «أرجوك، ابتعد عني ودعني وشأني».

ـ لا أريد إلا محادثتك لدقائق عدة فقط.

ـ حسناً. . أنا لا أريد محادثتك!

جابت عيناها الشارع الغارق بالمطر بحثاً عن إحدى السيارات السوداء والبيضاء التي تجوب المنطقة.

ـ أحاول مساعدتك.

ردت بفظاظة: «هذا ما يقوله الجميع».

التفتت إليه بسرعة ثم ندمت على ذلك، فقد بدت كتفاه في معطفه العاجي عريضتين جداً وبدا جسده كله خطيراً بشكل خبيث، هي لم تترعرع في المدينة ولكنها أقامت في نيو أورليز وقتاً كافياً لتكتسب درجة من الحذر. . كان باب الملهى الخلفي في أحد الشوارع الفرعية الصغيرة وهذا يعني أن أقرب شخص إليها كان على بعد مئتي قدم على الأقل. . كل قصص الرعب التي سمعتها عن السلب والاغتصاب تسارعت إلى رأسها.

كان في صوته شيء من السخرية:

ـ لا تقلقي هكذا! أنا لا أسعى وراء مالك أو. . شخصك. . أما المال فلدي منه أكثر من اللازم. . أما شخصك فأنا أكره الأشياء المستعملة.

لا شك أنه سمع شهقتها قبل أن تقول:

ـ يجب ألا تجوب الملاهي إذا كنت تهوى العذارى فقط.

ـ لقد جئت إلى هذا الملهى لأن خالتي الجَزِعة تريد مساعدتك.

دنا منها خطوة:

ـ لا تغتري بنفسك! إن وراء سعيي إليك صفة شخصية، آنسة لامبرت.



ردت بغضب: «لا تجعلني هذه الفرص الفريدة أغتر. إن المتسكعين من الرجال الذين يقضون المساء بطوله ليحاولوا الحصول على مواعيد مني ليسوا من طرازي».

إن أرادت بهذا إثارة مشاعره فقد نجحت، لأنه أسندها إلى الجدار وأصبح على مقربة شديدة منها.

قال لها ساخراً:

ـ ليتك تعرفين مدى سخرية الموقف، فأنت آخر امرأة على وجه الأرض أرغب في نيلها صدقيني. . والآن، هلاّ أصغيت لأقول لك لماذا. .

انعطفت سيارة أجرة من الزاوية ودنت منهما. . عندئذ أحنت آديل نفسها من تحت ذراعيه، وأسرعت فوق الرصيف وهي تشير للتاكسي أن يتوقف ثم قفزت إلى المقعد الخلفي صافقة الباب وراءها.

قالت بأنفاس مقطوعة:

ـ إلى الشقق السكنية الواقعة في محاذاة النهر قرب السوق أرجوك.

ـ بالتأكيد. . وصلت على ما يبدو في الوقت المناسب.

نظرت إلى الخلف متوترة:

ـ أجل. . لم يلحق بنا. . أليس كذلك؟

ـ لا سيدتي. . تركناه مسمراً مكانه هناك والغضب ظاهر على محيّاه.

ـ فليغضب ما شاء له ذلك طالما لن أراه ثانية.

«بضاعة مستعملة». . كيف يجرؤ على قول شيء كهذا. . ألأنها تغني في نادٍ ليلي يعاملها كساقطة؟

تقطن آديل في مبنى قرب النهر. ولأن المبنى قديم ولأنه واقع في منطقة قديمة الطراز، كانت إيجاراته رخيصة. . نقدت السائق أجرته وأسرعت تصعد الدرج الذي يمثل خطراً حقيقياً بسبب اهتراء أطرافه. . لقد ترحلقت مرتين عنه، مرة صعوداً ومرة نزولاً، ولكن فيكتور لم يعتبر



WWW.REWITY.COM

ذلك أمراً خطيراً أما هي فمرعوبة من أن يقع أحد التوأمين يوماً رأساً على عقب.

تقع شقتها في الطبقة الثانية وهي مطلة على الشارع. فتحت الباب الذي يحتاج إلى طلاء، ودخلت إلى غرفة هي مزيج من غرفة جلوس وغرفة طعام، وغرفة ألعاب، وغرفة رياضة.. ومع أن آديل تبذل جهدها للمحافظة على نظافتها فهي لا تبدو أبداً مرتبة، ففيها أغراض كثيرة: مقعد قديم ومقعد له مسندان مليء دوماً بألعاب التوأم لذا لا يجد المرء مجالاً للجلوس عليه.. وأثقال ڤيكتور التي يبنى بها جسداً نحيلاً.. وفي الغرفة أيضاً طاولة سنديان أنيقة عليها أوراق ڤيكتور ويحيط بها أربعة كراسي غير متناسقة، ومجموعة من النباتات وثمة ألعاب أخرى مبعثرة على الأرض، كفيلة بعرقلة سير الداخل إن لم يكن لديه براعة في المناورة.. آخر ما لاحظته آديل هو مذكرة موضوعة على رف الكتب التي تحمل مجموعة آديل من كتب علم الاحياء البحري، وكتب ڤيكتور الرياضية. أما المذكرة فهي من ڤيكتور وهو يقول فيها إن مارغو مصابة برشح وإنه عائد إلى المنزل قبل الموعد بنصف ساعة غداً.

دخلت إلى غرفتها فرمت معطفها على السرير.. في غرفتها عدا السرير خزانة أدراج وكرسي هي الأثاث الوحيد فيها وقد اشترتها جميعاً من سوق الأشياء المستعملة، لكن آديل طلتها كلها بالأبيض أما الجدران فطلتها بلون أخضر هادىء ثم صنعت ستائر ومفارش سرير من قماش أخضر وأبيض وأصفر. بدا التأثير العام مريحاً.. فوق السرير صورة ليس في الغرفة غيرها وهي عبارة عن منظر صخري لساحل لؤلؤي رمادي في صبيحة غارقة بالضباب الذي حجب الأشجار والصخور المرتفعة عن النظر. لقد ترعرعت آديل في منطقة ساحلية.. أحياناً حين تنظر إلى الصورة تشم رائحة الملح اللاذعة القادمة من المحيط وتكاد تسمع عويل طيور البحر، وهدير الأمواج السرمدي.



رفست حذاءها من قدميها وتقدمت على أطراف أصابعها المغلفة بجوارب نايلون إلى الغرفة المجاورة التي ينام فيها التوأم ووقفت لحظات تنظر إليهما بمزيج من الحب والخوف. ركزت بصرها على مارغو ذات الجدائل العسلية فشعرت بأنها غير نائمة.

عدلت آديل الأغطية فوق جسم كنت المنبسط كجناحي النسر، والتقطت دب مارغو عن الأرض.. وهما نائمان يبدوان ضعيفين يعتمدان عليها كل الاعتماد. تعلمت أن الطريقة الوحيدة للتعامل مع هذا الاعتماد المفرط عليها هي أن تأخذ كل يوم بيومه. فهي لا تجرؤ على النظر إلى الشهور والسنوات المنتظرة.

نهاية يوم.. ما أروع هذا لو أن التوأم يبقيان على هذا الهدوء حتى منتصف الصباح! عادت إلى غرفتها لتزيل الماكياج عن وجهها، لم تحتج قط إلى منبه بوجودهما.

بعد أن علقت ثيابها بحذر رمت نفسها في الفراش.. فجأة تطفل صاحب العينين الباردتين على عقلها المتعب.. ولكنها دفعته بعيداً بشراسة لا تريد سوى نسيان حادثة ألمتها وأغضبتها.. وعندما غاصت في الفراش أخذ صمت الشقة الصغيرة يضغط على أذنيها.. فانجرفت في نوم عميق.

***



WWW.REWITY.COM

# ٣ ـ عيناك بلون الزنبق

في تمام السابعة والنصف بدأ كنت كالعادة يضرب قاطرته الخشبية على الجدار. أما آديل فراحت تكافح للتخلص من النعاس الشديد، ثم سمعت فيكتور يدخل إلى الغرفة الأخرى فتوقف ولله الحمد الضجيج.. لكن آديل تعرف أن عليها النهوض فعلى فيكتور أن يخرج إلى عمله بعد ربع ساعة تقريباً. في مثل هذه اللحظات تحس بأنها على استعداد للتخلي عن أي شيء مقابل ساعة أخرى من النوم.

عندما دخلت إلى المطبخ بعد دقائق وجدت التوأم في كرسيهما المرتفعين وإبريق القهوة يغلي على النار، وكوب من عصير البرتقال الطازج بانتظارها على الطاولة.. كان فيكتور يقف في الزاوية يخلط السلطة التي هي الطعام الوحيد الذي يسمح به لنفسه وقت الغداء، مع أنه أحياناً يميل إلى طبق سباغيتي كبير وهو طبقه المفضل في المساء.

قال بحبور، فهو على عكس آديل في أفضل أحواله في الثامنة صباحاً.

ـ صباح الخير.

رشقت آديل رشفة كبيرة من عصير البرتقال:

ـ صباح الخير.. بسرعة اسكب لي فنجان قهوة.

مرر لها بكل طيبة خاطر كوباً يتصاعد منه البخار.

ـ شكراً.

فيكتور الحاصل على درجة جامعية في التربية البدنية موظف في



WWW.REWITY.COM

المدينة في ناد للصحة واللياقة البدنية. وهو يكبر آديل بسنة واحدة وهو في عديد من الأوجه على عكسها تماماً.. إنه رجل عمل لا رجل فكر ورغم اختلافهما تعرف أن ترتيبات سكنهما تسير على نحو ممتاز.. فڤيكتور يدخر كل قرش يستطيع ادخاره ليتزوج في الخريف القادم بابنة رجل أعمال من «أكاديا» يؤمن أن على من يطلب يد ابنته أن يكون وضعه المادي جيداً.. هكذا اضطر ڤيكتور للخروج إلى العمل كل صباح والاعتناء بالتوأم كل مساء في مقابل حصته من الإيجار، وهو يعلم السكواش والتنس في نهاية الأسبوع لمن هو موسر.. لذا كان حساب توفيره يتصاعد باطراد إلى مستوى يرضي السيد لوبان.. كانت آديل المولعة به مسرورة من أجله، لكنها تخشى التفكير في اليوم الذي يتزوج فيه فمن أين لها أن تجد شريكاً في السكن يرضى بهذا الوفاق.

رمى ڤيكتور بعض حبوب العنب فوق السلطة. وأمسك كل توأم من تحت ذقنه وابتسم لآديل.. افترضت آديل أنه وسيم كثيراً بشعره الأسود المجعد وبعينيه السوداوين الرومانسيتين ولكنها لم تشعر قط تجاهه بمشاعر تتعدى المشاعر الأخوية.. عندما ألقى عليها تحية سريعة قبل أن يغادر المنزل تذكرت لا إرادياً ذلك الغريب الأشقر..

وضعت ملعقتين كبيرتين من السكر في قهوتها وحركتها مع الحليب ثم ارتشفت أول رشفة ليبدأ يومها.

كان يوماً عادياً بدأ بالفطور والحمام وبإلباس التوأم ثم بالذهاب إلى المغسل والمحلات والغداء، ثم بقيلولة بعد الظهر لثلاثتهم. ثم نزهة في الهواء ثم تنظيف الشقة وإعداد العشاء.

عاد ڤيكتور كما وعد باكراً إلى البيت لذا لم تكن مضطرة إلى جلي صحون العشاء.. أمام مرآة الحمام وضعت مكياجها بدقة وطلت أظافرها من جديد.. لديها أربعة أثواب ترتديها للعمل، هذا المساء اختارت فستاناً من الحرير الأسود، طويل الأكمام، تنورته متسعة وياقة بلوزته واسعة وهي



WWW.REWITY.COM

تعجب نيل هارلو أكثر من البلوزة البنفسجية الأكثر احتشاماً.. ثم غطت الجميع بمعطفها الواقي من المطر، وقررت الذهاب سيراً إلى النادي الليلي لأن عندها وقتاً إضافياً.

كان معظم الناس يتناولون العشاء في مثل هذه الساعة لذا بدت الشوارع فارغة هادئة، الظلام يوشك أن يطبق على الكون فآخر شعاع شمس هارب استسلم إلى بريق النجوم البعيدة وإلى نور المصابيح الغازية القريبة. دوى وقع خطاها على الرصيف.

ومع أنها تعلم أن ذلك لن يكون إلا لوقت قصير شعرت بالسعادة بسبب عزلتها.. ما هي إلا دقائق حتى أصبحت فريدة وحيدة، وهذا إحساس نادر في هذه الأيام لذلك يجب الاستمتاع به. لهذا أحسّت بصدمة قوية عندما وجدت في انتظارها قرب الباب الخلفي الغريب الطويل الأشقر.

اشتد وجهها المسترخي الهادىء، فأصبح قناعاً قاسياً من الكراهية والعداء.. وهو تغيير لاحظه بلا شك.. وقبل أن تتكلم قال:

ـ أريد الاعتذار منك لأنني فقدت السيطرة على أعصابي ولأنني قلت أشياء غير لائقة ليلة أمس.. كان لدي أسباب لن أضجرك بها، لكنها لم تحسن وضع قضيتي.. أليس كذلك؟

فكرت في كلماته وبداها ما تزالان في جيبيها وأضواء الشارع تجعل لون شعرها ذهبياً. قالت ما هو تصريح أكثر منه سؤالاً:

ـ لم تغيّر رأيك بي.

وتوقعت أن يكون صادقاً.

ـ لا.

لم تغضب ويا للغرابة! في هذه المرة تركت نظرتها تجول في وجهه بدون ارتباك وبحثت عن دلائل عما يهم بقوله.. ولكن وجهه وجه منضبط.. قوي.. شرس.. ورجولي بكل تأكيد.



ـ تتمتع بقدرة أكثر من قدرتي فأنت مثلاً تعرف اسمي، فيما أجهل أنا اسمك.

ـ لوغان ردفورد.

ـ ولديك خالة في مونتريال.

ـ أجل. اسمعي لن يستغرق الشرح سوى بضع دقائق.

ابتلعت آديل ريقها.. إنه جذاب جذاب..

أضاف: «هل أجرؤ على دعوتك إلى فنجان قهوة؟»

ابتسمت أول ابتسامة حقيقية.

ـ لا شكراً! لدي عشر دقائق فقط.

ـ إذن سأكون سريعاً قدر الإمكان.. منذ مدة جاءت السيدة هيستر بالخبر لرؤيتك.. إنها صديقة لأمك.

رفعت آديل لا إرادياً قامتها إلى الأعلى:

ـ أجل.. حصل هذا.

ـ أعتقد أنها عرضت عليك المساعدة فرفضتها.

هزت آديل رأسها.

ـ خالتي كاستدرة فورسيت الأرملة تعيش في مونتريال وهي صديقة هيستر وتعرف أمك جيداً.. فهمت أنهن كن معاً في المدرسة الداخلية وحرصن على اتصال فيما بعد. أحبت خالتي أمك كثيراً، لذا ساءها أن تسمع أن ابنة ماود تعمل في نادٍ ليلي.

تفاقم العداء في صوت آديل:

ـ إنه مجرد نادٍ ليلي، وليس ماخوراً.

اشتد ضغطه على فمه:

ـ لست هنا لأناقش مهنتك، بل من أجل نقل ما تشعر به خالتي من قلق عليك.

ـ أظنك جئت مكرهاً؟



WWW.REWITY.COM

تقبل تحديها:

- أجل، آنسة لامبرت.. جئت مكرهاً ولكن بسبب حبي واحترامي لخالتي قبلت المجيء إلى هنا.

- إذن، هناك على الأقل امرأة تحترمها.. تدهشني!

- إنها واحدة من القليلات اللاتي أعطينني سبباً للاحترام.

ردّت ساخرة:

- حقاً؟ أنت إذن من كارهي النساء.. ما ألطف هذا! كيف هو الإحساس وأنت تكره نصف سكان الكرة الأرضية؟

اجتاز المسافة الفاصلة بينهما فدلت حركاته على غضب مكبوت:

- تتعمدين إساءة فهمي. أنت فعلاً تثيرين أعصابي، آديل لامبرت.

اضطرت آديل لمقاومة دافع يكاد يدفعها إلى الهرب: الشعور مشترك.

سحب نفساً عميقاً.

- لنعد إلى الموضوع، خالتي مستعدة لإعالتك حتى تتابعي دروسك الجامعية، وتمويل رحلتك إلى كندا، ومساعدتك على إيجاد عمل يليق بمستواك، إنها قلقة حقاً على مستقبلك.

ردت آديل بعدم تصديق:

- هذا لطف كبير منها.. على أي حال، بما أنني أحمل درجتين جامعيتين، ولديّ وظيفة ممتازة فلا داعي لقلقها علي.

ضاقت عيناه: كم عمرك؟

- ثلاثة وعشرون.

- ودرجتين جامعيتين؟

- درجة بكالوريوس علوم مع مرتبة الشرف في العلوم الحيوانية، ودرجة ماجستير في علوم الاحياء البحرية.. ألا تعرف خالتك هذا؟

- لا أدري، فهي لم تخبرني بشيء من هذا القبيل. ما الذي دهاك حتى تعملي في ملهى ليلي؟



- الواضح أنها امتنعت عن إخبارك أموراً كثيراً سيد ردفورد.

- إذن لماذا لا تخبرينني أنت؟

- ليس لدي ما يستدعي اهتمامك.. أشكرها على دوافعها الخيرية ولكنني أفضل إدارة حياتي بنفسي.

صمتت آديل لأنها شعرت بالخجل من الطريقة التي استخدمتها في الكلام فالواضح أن خالة لوغان صادقة في مساعدتها لذا تستحق رداً أفضل من هذا.. عندئذ انتقت كلماتها بدقة وأضافت:

- ما دامت خالتك على معرفة بأمي فهذا يعني أنها تعرف تقديس أهل «نيوانغلند» وفخرهم باستقلاليتهم، واعتبارهم القبول بدين أحد خطيئة مميتة. لا أستطيع القبول بمساعدتها، لكن رجاء انقل إليها شكري الجزيل.

- لكنك لم تردي على سؤالي.

- لا ضرورة للإجابة عن أسئلتك.. سأتأخر.. يجب أن أذهب.

- إذن تعتبرين القضية مقفلة؟

- أجل! عد إلى كندا سيد ردفورد.

- لكنني مثلك آنسة لامبرت مستقل كلياً، وأفعل ما أشاء.. قد لا يناسبني أن أعود إلى كندا.. وقد أبقى هنا بضعة أيام لأستكشف المدينة.

نظرت إليه آديل خائفة بشكل غريب. لم يكن عليها أن تثير فضوله بالتحدث عن الدرجتين الجامعيتين اللتين نالتهما.. فهي لا تريده هنا في المدينة يتجول في الحي الفرنسي، فقد يراها يوماً وهي تنزه التوأم.. تريد أن يذهب وأن يخرج من حياتها لتنساه.. فلو رأته مراراً لصعب عليها نسيانه.

هزت كتفيها متظاهرة بعدم الاكتراث:

- لا فرق عندي أبقيت أم رحلت. إنما رجاءً لا تزعجني ثانية.

- أعيد فأكرر أنني أفعل ما أريد.



WWW.REWITY.COM

أدركت أنها المتضررة من هذا الحديث، فقالت متوترة:

ـ مساء سعيد سيد ردفورد.

رد بكثير من الأدب: «عمت مساء، آنسة لامبرت».

دخلت من الباب الخلفي الملتوح إلى الجو العابق برائحة الدخان.. اللعنة على الرجل! لم يسبق لها أن تعرفت إلى شخص يمتلك مثل هذه القدرة على التأثير فيها، وهو إلى ذلك يملك جاذبية فائقة. ولكن من تحتاج إلى رجل هو عدو بيّن للنساء؟

أتساءل لماذا هو هكذا؟ هل كان متزوجاً ثم طلق زوجته؟ أم هجرته امرأة؟ أم هو أرمل؟ نصبت قامتها جيداً ثم مررت مشطاً في خصلاتها المتجعدة.

آه! لماذا لم تعجبها فكرة زواجه.. كوني صادقة آديل أنت تكرهين التفكير في هذا.. ولكن لا شأن لك أكان متزوجاً أم أعزب؟

كانت تنتعل الحذاء المرتفع الكعبين عندما سمعت طرقاً على الباب، فعرفت من الطارق:

ـ أنا قادمة.. نيل!

لقد تأخرت، وهذا ذنب لوغان ردفورد. كان نيل بانتظارها أمام الباب ينظر عن عمد إلى ساعته الذهبية الرقيقة:

ـ تأخرت خمس دقائق.

لم يخدعها فهو ربّ طيب حازم نعم ولكنه عادل في الوقت ذاته ولا يحاول، والحمد لله، أن يطلب أية خدمة «خاصة» منها.. نيل المتزوج بامرأة إيطالية جميلة يعامل كل المغنيات عنده بصداقة لا محاباة فيها، ويقضي أكثر أوقاته مع زوجته الجميلة روزيتا..

ابتسمت له:

ـ آسفة.. حدث ما أخرني.

وضع ذراعه حول كتفيها وأحنى رأسه ليسرّ لها بشيء. وأخذ شاربه



الكث يعلو ويهبط وهو يتكلم:

ـ ستكونين مشغولة الليلة.. سيحضر أفراد مؤتمر كبير من نيوأورليتز.. فابذلي قصارى جهدك في الغناء يا فتاة.

وصفعها على ظهرها كصفعة الدب لجروه.

فجأة تعثرت خطواتها فعلى بُعد طاولتين كان لوغان ردفورد جالساً يراقبها ساخراً.. إنه لا يعرف بوجود روزيتا، الحصن المنيع. كل ما يراه الآن هو رب عمل تجثو ذراعه على كتفيها بشكل حميم مألوف وهذا ما سيؤكد ظنونه بها، فتمتمت متجهمة: «سأبذل قصارى جهدي».

وقامت بذلك على أكمل وجه. فكان الناس يستجيبون لغنائها بحبور وشغف حتى لم يبق في القاعة من لم يشاركها أغنية «سوزي» وغيرها من الأغاني.. بعد ساعة من هذا رأت لوغان ردفورد يدفع كرسيه إلى الوراء، ويغادر المكان.. كان طيفه الطويل يتحرك نحو الباب بدون أن ينظر إليها أبداً.

بعد رحيله، وجدت صعوبة كبيرة في متابعة استعراضها.. ولمّا حل وقت الراحة تنفست الصعداء. ولكنها تقبض أجراً لتقوم بالاستعراض، لذا تابعت الغناء حتى أحست بصوتها يكاد ينهار من فرط التعب.. وكم شعرت بالراحة عندما انتهت وصلتها وخرجت إلى هواء الليل البارد حيث راحت تسير في وسط الشارع بسرعة متجهة إلى شقتها.

بسبب شدة تعبها لم تلاحظ رجلاً طويلاً يرتدي معطفاً واقياً من المطر يقف في الجهة المقابلة حيث يستطيع مراقبة باب الملهى الخلفي. ولأنها كانت تسرع للوصول إلى المنزل لم تدرك أنها ملاحقة. اختفت في المجمع السكني فارتقت الدرج درجتين درجتين حتى وصلت إلى شقتها.. لو نظرت من النافذة لرأت ملاحقها في الشارع يدفع الباب.. لكن ما لم تكن قادرة أن تراه هو كيف وقف في المدخل يراجع أسماء السكان حتى وصل إلى الشقة ٢٠٢.. آديل لامبرت وڤيكتور لاوسون..



WWW.REWITY.COM

توقفت عيناه على اللوحة وهناك تسمّر فترة طويلة.

في المساء التالي جاء القرع على الباب في أسوأ وقت ممكن. كان ڤيكتور الوحيد الذي يشعر بالمرح فاليوم هو الجمعة، وهذا يعني أنه بعد ظهر الغد سيستقل الباص ويتجه إلى لافاييت لقضاء الأمسية مع إيموجين.. وهو الوقت الوحيد في الأسبوع الذي يتقابلان فيه. كان التوأم في أقصى حالات الاهتياج لأن الطبيب لقحهما ذلك الصباح.. آديل التي ستغني في الوصلة الأخيرة الليلة لن تتمكن من ترك الملهى قبل الثانية صباحاً. كانت تحاول أن تنام ولو قليلاً لتستعد.. وكانت في أسوأ حالاتها. شعرها معقوص إلى الوراء في جديلتين ووجهها خال من الماكياج، ولباسها جينز باهت وقميص عتيق. ولكنها كانت تبدو مختلفة بشكل جميل. بدت أصغر من تلك المغنية الملونة العذبة الصوت بسنوات.

من يطرق الباب يطرقه بتسلط وبنفاد صبر، كان ڤيكتور في المطبخ يحضر طبقه المفضل السباغيتي مع الصلصة الخاصة السميكة التي عبقت رائحتها في الشقة كلها.

صاح: «افتحي الباب آديل».

كان كِنت قد انتزع قطاره الخشبي العزيز من أخته التي كانت تلعب به بهدوء خلف ظهره.. وبسبب ذلك بدأت بالصراخ والبكاء. في الطابق العلوي كان السيد كابستر يطرق بعصاه على البلاط، وهذا ما يفعله عادة عندما يرفع التوأم صوتيهما فوق مستوى الهمس. تمتمت آديل بكلمة فظة من بين أسنانها. وحملت مارغو تحت إبطها فخف صراخها قليلاً.. وفتحت الباب.

إنه لوغان ردفورد الذي رأت على وجهه تعبيراً لم ترَ آديل مثله قطّ.. بدا غاضباً غضباً جعلها ترتدّ خطوة إلى الوراء، فجأة تبخر كل شيء من رأسها.. تأججت عيناه الزرقاوان بالمشاعر وهو يقول بحدة:



- لماذا لم تخبريني بأنك متزوجة؟

وجدت لسانها: «لأنني لست متزوجة».

نظر إلى الطفلة الصارخة ذات الخصلات الحمراء الذهبية، وقال:

- إذن آن لك أن تتزوجي.

قبل أن ترد بما هو مناسب نادى ڤيكتور من المطبخ:

- هل هذا بالكي آديل؟

بالكي هو شريك ڤيكتور الدائم في السكواش.

- لا.. ليس هو.

تجاهل لوغان المقاطعة:

- ألن تسمحي لي بالدخول؟

- أعطني سبباً واحداً يجعلني أسمح لك.

إبتسم بشكل كريه:

- لأقدّم تقريراً كاملاً لخالتي التي ما إن تسمع بأمر ترتيبات سكنك حتى تتوقف عن القلق عليك.

ردت آديل بتهور:

- بكل سرور.. أدخل.. أكره أن أحرمك من معرفة أدق التفاصيل.

انشغلت مارغو مؤقتاً بالزائر الطويل، وهذا الانقطاع عن البكاء سمح لها بأن تملأ رئتيها لتجهش من جديد بالبكاء والصراخ.

قالت آديل ساخطة: أوه.. اصمتي.

وضعت الطفلة قرب كومة مكعبات:

- هاك.. سأبني لك برجاً.

حبا كَنت إليهما ليرى ما الذي يحدث، فاتجهت مارغو بعناد إلى القطار المهجور وساد هدوء مؤقت.

ثم جاءها صوت زائرها:

- كم واحداً هناك؟ ولماذا لا تتزوجين والدهما ما دمت تعيشين معه



WWW.REWITY.COM

على أي حال؟

استوت واقفة وقالت برقة:

ـ أوه.. ليس فيكتور والدهما.

سرعان ما ندمت على إجابتها، إذ لم يكن هناك مجال لإخفاء الألم عن وجه لوغان ردفورد.. وكم أجفلها هذا.. عندئذ وضعت يدها على ذراعه هامسة:

ـ آسفة. لم أقصد أن أجرح مشاعرك.

لكن الألم زال وحل مكانه قناع جامد.. أبعد يدها عن عمد عن ذراعه، وقال:

ـ وداعاً آديل لامبرت.. أرى أنك على صواب.. لست بحاجة إلى مساعدتي أو مساعدة خالتي.. فمثيلاتك قادرات على الاعتناء بأنفسهن.

نظرت العينان الزرقاوان الخاليتان من المشاعر إلى وجهها لبرهة.

ـ غريب أمرك.. تبدين في السادسة عشرة من عمرك بهذه الثياب.. وحولك هالة من البراءة. وهذا ما يُظهر بوضوح أن المظاهر خدّاعة.

شعرت آديل فجأة برغبة في إخباره حقيقة وضعها.. أرادت أن تتجاهل احتقاره وغضبه، وأن تحدثه حديث القلب إلى القلب.. لكن لماذا؟ إنها غير واثقة.. ربما للأمر علاقة بالألم الذي ظهر على وجهه.

ـ سيد ردفورد..

ـ عيناك جميلتان.. لونهما بلون زهور الربيع الزرقاء التي تنمو في الحقول قرب منزلي كل عام.. هذا اللون الأزرق المائل إلى القرمزي.. لم أكن متأكداً وأنا في الملهى من لونهما.

هز رأسه بطريقة رسمية، ثم ارتدّ على عقبيه يخطو فوق كنت وكومة المكعبات ويغلق الباب خلفه بحزم.

لحقت أنظارها بظهر زائرها مبهورة فاقدة النطق. ثم خطت خطوة إلى الباب، لكنها توقفت محبطة. فتحت فمها لتناديه ولكن صوتها لم يخرج



منها. تعرف أن من غير المجدي استدعاءه.. فليس بينهما ما يقال.. والحقيقة أن موطنها في نيواورليانز، وموطنه يبعد مئات الأميال إلى الشمال، ولكن لا أهمية للذلك فليست الجغرافيا هي التي تقسمهما بل شيء أعمق بكثير من هذا كله. إنه صراع بين شخصيتين وسوء فهم لا علاقة له بالمسافات.. المشكلة أنها تتمنى لو أن هذا لم يكن.

ولكن لماذا؟ ألأنه قال إن عينيك بلون الزنبق البري الأزرق؟... وهل نسيت أنه ناقد حاكم يسيء الظن بها.. أنت لست بحاجة له.

لكن توبيخها لنفسها لم ينفع.. ففي ما قالته أو فعلته أمر أطلق على وجهه عذاباً مؤلماً فجأة، وليتها تعرف ما هو وليتها تستطيع التعويض له.. لكن الوقت تأخر.. لقد رحل. وفي هذه المرة هي متأكدة بأنه رحل ولن يعود.

ـ هل أنت بخير.. من كان القادم؟

انتفضت مذعورة:

ـ أوه.. أوه.. أجل أنا بخير فيكتور. إنه شخص التقيته في الملهى، هذا كل شيء.. هل المعكرونة جاهزة؟ هل أستطيع إطعام التوأم؟

قال فيكتور بمرح:

ـ بكلمة أخرى لا تريدين الحديث عنه. العشاء جاهز ووضعت طعام الولدين على النار.

حاولت عدم التفكير في لوغان ردفورد، وفي الزنابق البرية فشغلت نفسها بإبعاد مارغو عن القطار الخشبي، ووضعتها على الكرسي المرتفع الخاص بالأطفال وبدأ الروتين المسائي.. سألت وهي تجلس:

ـ كيف حال إيموجين؟

وضع فيكتور طبق الطعام أمامها.

ـ همم.. تبدو المعكرونة لذيذة فيكتور.

ـ إنها بخير.. سنعيد النظر بأموالنا في الغد.. نعتقد أننا سنتمكن من



WWW.REWITY.COM

إتمام الزواج في هذا الصيف، فوالدها بدأ يقتنع.. أظنه أدرك أنني لست عابر سبيل ينوي سرقة ابنته. وآن له أن يدرك هذا.

أبعدت آديل فكرة اضطرارها بعد ستة أشهر إلى التفتيش عمن يشاركها الشقة بدل ڤيكتور.. سيصعب عليها إيجاد من هو لطيف المعشر وطيب مع التوأم مثل ڤيكتور..

قالت ممازحة:

ـ بدأ يقدر لك مزاياك.. ولا شك أنه يرى مدى حبك لإيموجين.

لم تقابل آديل إيموجين سوى مرة.. إنها فتاة قوية الإرادة، سوداء الشعر ولكنها ليست جميلة بشكل مميز. إنما في عينيها الدافئتين اليتيتين مرح كبير وتفاؤل بالحياة لا يصدق.

قالت: «أتوقع أن أكون مدعوة إلى العرس».

ـ بالتأكيد.. وسنطلب منك على الأرجح أن تغني في الكنيسة.

ضحك بوجهها المشمئز.

ـ أوه.. الحب الإلهي سيكون تغييراً عن «زهرة تاكساس الصفراء» أليس كذلك؟

ـ أعتقد أنك على حق.

وضعت المزيد من الدجاج في فم مارغو.. وقال ڤيكتور:

ـ أتعرفين.. يجب أن نكون متكتمين مع السيد لوبان فلم نخبره أنني أشارك شقة مع سيدة.. وأظنه سيضرب السقف برأسه لو عرف.

ـ ولن يفهم أنه اتفاق عملي مفيد لنا معاً.. هذا هو الفرق بين الأجيال.. كما أعتقد.. لم تجد إيموجين مشكلة في هذا، أليس كذلك؟

قال بمرح: «أبداً.. نقول إن المرة التي رأتنا فيها كانت كافية لتدرك أننا أشبه بأخ وأخته».

أطعمت آديل عن غير وعي مارغو ملعقة طعام أخرى.

ـ لماذا نجحت تجربتنا هكذا.. أتعرف؟ لا أظنني وقعت يوماً في



الحب ڤيكتور.. أوه.. تعلقت يوماً بمعلم اللغة الإنكليزية في الصف العاشر وبمدرب مختبر في أول سنة جامعية درست فيها علم الأحياء.. لكنه لم يكن حباً.

ـ ماذا عن نويل؟

أدارت حفنة طويلة من المعكرونة حول شوكتها.. ثم راحت تفكر في نويل... شعرت بأن وجهه مائل أمامها تذكرت شعره البني ووجهه النحيل الصغير، إنه ستانفورد الثالث وريث مصانع ستانفورد التلميذ الألمعي، والممثل الموهوب الواثق من نفسه والثري الوسيم، والمعتاد على تنفيذ ما يريد.. ظنت آديل دوماً أنها تأسر اهتمامه بسبب ذكائها وقدراتها، ومواهبها الغنائية.. لكنها لم تسمح له بإقناعها بفعل ما لا تريد فعله. بعد تخرجها أصبحا شريكين في مختبر وعندما راحت تحضر رسالة الماجستير تشاركا مكتباً في قسم الأحياء المائية وطالما اعتبرا في الجامعة شريكين..

أخيراً قالت:

ـ كنت معجبة به كثيراً.. إنه من الأشخاص الموهوبين في البحث. لقد خلق ليكون باحثاً. طالما أحببت صداقته، لكنني لم أحبه قط.

ـ كان عليك أن تحبيه... أنسيت كم يملك من المال؟

ـ أوه.. لقد طلب مني الزواج مرتين أو ثلاثة، ولكنه يريدني فقط لأنه واثق من رفضي.. وهو غير معتاد على من يقول له لا.

ـ أما زال يراسلك؟

ـ أجل، وفي كل خطاب يضع ملاحظة يسأل فيها ما إذا غيّرت رأيي، وقد يحدث ذلك فربما يأتي يوم أكون فيه محبطة وأكتب له أنني موافقة.

ـ لا أظنك تفعلين هذا آديل.

ابتسمت لعيني ڤيكتور السوداوين:

ـ لا.. أعتقد أنني لن أقدم على شيء كهذا.. حسناً مارغو حبيبتي، لم تأكل..



WWW.REWITY.COM

وأعطتها آخر لقمة من طعامها، ثم قطبت:

- لكنني أتساءل أحياناً بيني وبين نفسي فيكتور.. في الثالثة والعشرين، ولم أحب أحداً.. ربما فيّ خطب ما.

- كلام سخيف.. أتريدين المزيد من السباغيتي؟

- لا.. شكراً.. لن أتمكن من غناء كلمة واحدة إن أكلت المزيد.

- لم تلتقي حتى الآن بالرجل المناسب.. في أحد الأيام سيأتي شخص وينظر إلى عينيك وعندئذ ستشعرين بأنك تغرقين.. ثم سيلمسك فتعرفين أنك وقعت في الحب.

وسيقول لك إن عينيك بلون زنابق الربيع الزرقاء!

ابتلعت ريقها بقسوة وقالت:

- هذا غير معقول.. فلم أؤمن قطّ بالشعر الرومانسي.

أرجع فيكتور كرسيه إلى الوراء:

- حسناً.. هذا ما لا يمكنك بالتأكيد تحليله في مختبرك آديل، فلا علاقة للمشاعر بالعقل.

نام كَنت ومارغو، أما فيكتور في غرفة الجلوس فكان يتكلم مع إيموجين على الهاتف، وأما هي فكانت جالسة على حافة السرير تحتسي فنجان الشاي. قبل أن تنطلق إلى عملها وجدت نفسها تتساءل عما إذا كانت على حق عندما اعتبرت لوغان ردفورد غريباً.. فهي بالتأكيد أصبحت تعرف الكثير عنه.. إنها قادرة على استدعاء صورته بشكل دقيق في تفكيرها: مظهره الأنيق.. شعره الأشقر المرتب.. عيناه اللازورديتان اللتان لا تكشفان عن شيء.. السيطرة وقوة الإرادة المطبوعتان على الوجه القوي النحيل.. الجسد اللين المشدود المتماسك.. أما سرعته في الحكم على الأشياء وسرعة غضبه فأمران تعرفهما خير معرفة وبإمكانها المراهنة على حياتها بأنه لو كان صديقها لكان مخلصاً ووفياً ولكان شخصاً يُعتمد عليه. لكنه ليس صديقها ولن يكون أبداً.



تعرف عنه صفة أخرى.. لديه عين ثاقبة في الحكم على جمال الأشياء البرية.. فلا شك أنه راقب الزنابق البرية تنمو وتعجب من مظهرها وتدرج ألوانها.. وهذا ما كانت تفعله وهي طفلة صغيرة قرب البحر.. بدا لها هذا رابطاً قوي لا تستطيع وصفه بالكلمات.. كانت غرائزها تقول إنها لن تستطيع التعبير عن هذا الرابط لأنه لن يطيل المقام في هذه المدينة الجنوبية، فقد وفى بمهمة خالته.

سيرحل.. ولن تراه مجدداً.

* * *



WWW.REWITY.COM

# ٤ ـ لا تكذبي!

لم يكن التعقل هو ما دفع آديل للبحث في زوايا الملهى المظلمة بل أمل أعمى، فقد رغبت رغم جميع الشواذات أن يكون لوغان ردفورد هناك. ولأن الليلة ليلة الجمعة اكتظ الملهى بالناس فارتفعت الأصوات التي تكاد تصم الآذان وتعالى الدخان الأزرق فأحرق عينيها وحنجرتها.. لم تكن أصابعها تركز على العزف ولم يكن عقلها يركز على الكلمات التي تغنيها.. أما عيناها فكانتا تجوبان الغرفة تراقبان الوافدين الجدد وتلاحظان من يخرج.. رأت عدة رجال طوال شقر الشعر.. وفي كل مرة كان قلبها يقفز بين جنبيها، لكن ما من أحد منهم كان لوغان ردفورد، ولم تنته وصلتها حتى الساعة الثانية صباحاً، ومع ذلك لم يظهر.

لم يكن هناك مجال للتخلص من الاستنتاج الحتمي.. لقد عاد إلى موطنه.. وهي غارقة في بؤسها، استقلت تاكسياً وعادت به إلى شقتها لتنهار على السرير.. ستبدو الأمور أفضل حالاً في الصباح.

لم تستيقظ في السابعة صباحاً على صوت التوأم بل على صوت فيكتور الذي كان يتمرن في غرفة الجلوس بنشاط وحماس. ثم سمعته يدخل إلى الحمام حيث راح يصفر الأمر الذي أيقظ التوأم بطبيعة الحال.. أخيراً جاء يقرع الباب قرعاً خفيفاً، ثم قال بصوت منخفض:

ـ يجب أن أذهب آديل.. من الأفضل أن تستيقظي.

قالت بأدب: حسناً.. شكراً.



WWW.REWITY.COM

ـ لن أعود قبل الغد. سأستقل الباص بعد آخر مباراة أتبارى بها.

ـ استمتع بوقتك.

نهضت من السرير ونظرت إلى الخارج من النافذة فإذا اليوم ممطر، تهب فيه الريح.. وبدت مياه المسيسيبي الهائجة منسجمة مع هذا المزاج.. كان كنت قد تغلّب على تأثيرات إبرة اللقاح لكن ذراع مارغو احمرت وتورّمت وبدا أن الصغيرة تميل للتعلق بآديل فقد دفنت وجنتيها المتوردتين في قميصها. ضمتها آديل ضمة كبيرة وطبعت قبلة على خصلاتها التي تشبه خصلات شعرها هي. في مثل هذه اللحظات تشعر باندفاع الحب والإحساس بالحماية وهما شعوران يثيرهما التوأم فيها دائماً. أراد كنت أن تضمه كذلك، فجلست على مقعد الشسترفيلد ووضعتهما قربها وراحت تقرأ عليهما قصة، وتغني لهما أغنيات لا معنى لها. عندما رأت كنت يصفق بيديه برنيم لا علاقة له بالأغنية شعرت بالذنب لأنها لا تقوم بهذا دائماً.. فماذا سيحدث إن لم تفرك أرض المطبخ، فما تفعله الآن أهم بكثير.

لكن المؤسف أن مارغو قلبت كوب الحليب أرضاً فاضطرت عندئذ إلى وضع الطفلين في مربع اللعب الخاص بهما وكان أن فركت الأرض ونظفت الحمام كذلك.. ونظفت أيضاً غرفة التوأم وغرفتها، أخيراً أغلقت باب غرفة فيكتور فهذا شأنه.. فقد وعدت نفسها بقراءة كتاب قبل تحضير العشاء.. كتاب أخذته من المكتبة منذ عدة أيام، ولم تفتحه حتى الآن.. ولكن عندما توجهت إلى البراد لأخذ كوب من عصير البرتقال تذكرت أن اليوم هو السبت وأنّ عليها الذهاب إلى المحل قبل أن يقفل في عطلة الأسبوع.

بسبب شعورها بالتعب الشديد بدت لها هذه المهمة صعبة.. ولكن لا خيار أمامها.. فالحليب والخضار على وشك أن ينتهيا، وليس لديها طعام للعشاء غداً.. ارتدت ملابسها بصبر، وألبست التوأم كنزتين وسترتين..



WWW.REWITY.COM

كانت تجلب جزدانها حين رن جرس الهاتف.

ردت مقطوعة الأنفاس: آلو؟

ـ آديل..؟ أنا كاندي.. لن أستطيع المجيء هذه الليلة لأنني مصابة بأنفلونزا.. طلبت من شقيقتي الحلول مكاني لكنها مشغولة.. فهل أنت قادرة على إيجاد غيري؟

تبقى كاندي عادة مع التوأم كل ليلة سبت حين يكون فيكتور في لافاييت.. لم تكن ممن يُعتمد عليهم كثيراً لكنها أفضل ما وجدته آديل.. إن فترة العصر من نهار السبت وقت غير ملائم لإيجاد جليسة لطفلين صغيرين.

أجابت: أرجو هذا.. أيمكنك التفكير في شخص ما؟

ـ ليس الآن.. لكنني سأخبرك إن فكرت في شخص ما.

ـ حسن جداً.. اعتني بنفسك.

حاولت آديل الاتصال بامرأتين أخريتين فلم تنجح.. وبدأ التوأم بالضجيج فاضطرت إلى التوقف عن الاتصال، وبدأت بإخراج عربة اليد إلى أسفل الدرج حيث وضعتها في الردهة، بعد ذلك أنزلت الولدين إليها وهي تفكر في البدائل. قبل الآن اضطرت إلى الاتصال بنيل لإلغاء ليلتها، لكنه لم يكن راضياً. تعرف أنها بارعة في عملها وإلا لما خصّها نيل بوصلة يوم السبت.. لكنها تعرف أيضاً أنها ليست ممن لا يستغنى عنه.. وملأها التفكير في خسارة عملها رعباً.

أخرجت العربة التي فيها التوأم إلى الخارج وبدأت السير بسرعة في الشارع.. كان الهواء بارداً، رطباً، بشكل غير عادي.. تعرف أن نيل لن يطردها بسبب عدم حضورها إلى العمل الليلة، فهو يعرف بأمر التوأم ولقد رتب لها دوامها بحسب جدولهما.. أوقفت العربة داخل مدخل السوبر ماركت ورفعت التوأم إلى عربة البضائع.. أبدى معظم الموجودين إعجابهم بسلوكهما، وبعضهم تذمر خاصة عندما بعثرت مارغو منصة مرتبة



من المعلبات كانت في نهاية أحد الممرات. ما تبقى من مسيرة التبضع تمت بدون حادثة أخرى، ما عدا صدمة دفع مبلغ كبير من المال مقابل القليل من الطعام.. عند منصة الصندوق شرحت للموظفة عن حاجتها لجليسة للطفلين، وكانت الموظفة تعيش في المجمع السكني عينه فأعطتها اسم امرأتين قد تساعدانها.. يجب أن تتصل بنيل وإلا واجهته المتاعب في إيجاد البديل.

اتجهت إلى الباب الذي تقف فيه امرأة سمينة كانت تتحدث بصوت مرتفع إلى أحد الحمالين فقالت لها مقطوعة الأنفاس: عن إذنك.

وأحست أن ذراعيها تكادان تنقطعان من ثقل التوأم.. قريباً لن تقدر على حملهما معاً! كررت بصوت أعلى:

ـ أعذريني.. أرجوك.

تنحّت المرأة عن طريق آديل.

في هذا الوقت لمحت مارغو كلباً أبيض وأسود فحاولت القفز إليه، ولكن آديل نهرتها:

ـ مارغو.. لا! قفي مكانك.

التفت كنت بين ذراعيها لينظر إلى الكلب كذلك وشد عدة خصلات من شعر آديل التي صرخت ألماً.. بعد ذلك ارتدت لتفتح الباب بظهرها.. كانت حقيبتها وقدما مارغو تضربان على ساقها.. لكن الباب انفتح لها، فنظرت من فوق كتفها لتشكر من جاء لمساعدتها.. ولكن كلمات الشكر ماتت على لسانها وقالت شاهقة:

ـ أنت.. لكن..

ترك كنت شعرها ورمى نفسه على الرجل الواقف بكل أناة وهو ممسك الباب.. تناول لوغان ردفورد الولد من ذراعي آديل ونظر إلى وجهها الشاحب ثم سألها بأدب:

ـ هل أنت مضطرة للعودة لحمل المعلبات؟



WWW.REWITY.COM

انحنت تضع مارغو في العربة وربطتها . .

ـ أجل .

أنزل لوغان كنت إلى العربة وربطه أيضاً ولكنها لم تستطع التفكير في ما تقوله .

قال : «ابقي هنا ، سأحملها أنا» .

نظرت آديل إليه ورأسها يدور في مزيج من الصدمة وعدم التصديق . . وشعرت فعلاً بالسعادة . كانت مسرورة برؤيته بل أكثر من مسرورة . . إنها مبتهجة .

عاد حاملاً أكياس المشتريات ، فسألها :

ـ كيف كنت ستحملين هذه والتعامل مع الولدين لولاي؟

أشارت إلى سلة سلكية مربوطة تحت مقبضي العربة .

ـ أضع بضعة أكياس هنا وأحمل الباقي .

عصفت الريح في شعرها .

أردفت : «شكراً لمساعدتك لي . . إن أعطيتني المشتريات فسأتمكن من تدبير أمري» .

لم يتحرك ليفعل ما طلبت .

ـ وأين هو صديقك فيكتور؟ أما زال نائماً في المنزل؟

لم تدرك أنه يخفي الغضب تحت صوته المتجرد من المشاعر .

ـ إنه مسافر .

ـ إذن هو يتركك عادة تجرين الطفلين في المدينة بمفردك وأنت تحملين هذا الحمل . . يا له من فتى لطيف!

أحست بالدفء يلف قلبها لأن لوغان ردفورد يهتم بها اهتماماً جعله يغضب من أجلها :

ـ ليس الأمر كما تظن . . نحن عادة نتبضع معاً ولكنه سافر اليوم قبل الوقت المعتاد ، ونسيت أمر التسوق .



ـ يسافر بشكل منتظم؟

ـ كل سبت . . لكن المسألة ليست . .

ـ وأنت متى تسافرين؟

ـ أنا لا أسافر . . فأنا . .

ـ هناك قانون لك وقانون مختلف له . . هه؟

حاولت إضافة شيء من الحقيقة للحديث فقالت بقوة :

ـ لا أستطيع السفر لأنني أعمل سبع ليال في الأسبوع .

ـ سأقول لك شيئاً . . أنت ذكية لأنك لم تتزوجيه . وماذا يفعل بالضبط كل ليلة سبت؟

هذا أمر سخيف! ردت بصوت مرتفع : «يزور خطيبته» .

غمر لوغان فاه وتصارع الغضب وعدم التصديق في عينيه الزرقاوين الصافيتين .

أسرعت آديل تضيف :

ـ اسمع . . هلا تحدثنا ونحن نسير؟ يجب أن أصل إلى المنزل لأتصل هاتفياً . . أو اعطني الأكياس لأمضي في طريقي . . الطقس بارد ولا يناسبني الوقوف هنا .

ـ لست مرتدية ثياباً تدفئك كما يجب .

تورّدت وجنتاها تورداً دافئاً اجتاح وجنتيها فقالت دونما معنى :

ـ لم أدرك أن الطقس بارد هكذا .

ـ هيا بنا إذن . . سأحمل هذه .

سارا على الرصيف غير المستوي . . كان التوأم قانعين بالهدوء في العربة المتحركة . . ثم أردف لوغان بهدوء وكأنهما لم يتوقفا عن ذاك الحديث :

ـ هل سمعتك بشكل صحيح؟ هل قلت حقاً إن الرجل الذي تساكنينه يذهب ليزور خطيبته؟



WWW.REWITY.COM

ـ هذا بالضبط ما قلته . . اسمع سيد ردفورد . .

ـ اسمي لوغان .

فجأة رأت المنظر كما يراه الجميع : عائلة من أربعة أفراد تعود سيراً على الأقدام إلى منزلها بعد ظهر يوم سبت . فتحركت روحها المرحة إلى الواجهة :

ـ ستدعوك مارغو «دادا» في أية لحظة . . . أنت على حق يجب أن أتخلى عن تسميتك بالسيد ردفورد، لوغان . فهمت الموقف كله على نحو خاطىء . . أنا وڤيكتور صديقان فقط، فعلاقتنا بريئة وهي تناسبنا . . إنه خاطب لفتاة تقطن في «لافاييت»، وهو يدخر ماله بجنون، ولا يدفع سوى ربع الإيجار مقابل عنايته بالطفلين لست ليال في الأسبوع عندما أكون أنا في العمل . . إنه ترتيب عظيم لنا معاً . . لا أدري ماذا أفعل عندما يتزوج . . من الصعب إيجاد مستأجر مثله يناسبه وضعي ويناسبني وضعه . .

رد بحذر متسائلاً :

ـ أتقولين إنك وڤيكتور لستما . . حبيبين؟

ـ هذا ما أقوله بالضبط .

ـ وما رأي خطيبته بالاتفاق؟

ـ هي تقبل بكل شيء في مقابل جمع المال الذي سيساعدهما على الزواج . الحقيقة أن والديها لا يعرفان شيئاً عن أمرنا أنا وڤيكتور فهما رجعيان بحيث لن يتفهما الحقيقة، أما أنا وهي فنتفقتان . إنها فتاة عملية .

ـ لكنك بدون ريب عاشرته .

في صوته رنة بشعة، وأحست بأشياء خفية، مصادرها مجهولة لها . . كان قد وصلا أمام باب الشقة فارتدت عيناها الليلكيتان إليه :

ـ لا . . لم يحدث شيء من هذا القبيل فعدا خطوبته لإيموجين لم أشعر قط تجاهه بمشاعر غير مشاعر الأخوة .

ـ وماذا عنه؟ ألم يشعر بالرغبة فيك؟



ابتسمت :

ـ لا أظنه نظر يوماً إلى امرأة أخرى . . كما سبق أن قلت لك العلاقة بيني وبين ڤيكتور بريئة وأنا آسفة إن بدا لك كلامي سخيفاً . . لكنه حقيقي .

ـ وأجده صعب التصديق .

ـ لماذا؟ لا أظنه اتفاقاً غير عادي إلى هذا الحد في هذه الأيام .

ـ ربما لا . . لا أستطيع أن أفسر كيف .

ـ لا تستطيع أو لا تريد؟

ـ لا أريد . . آديل لامبرت .

أسرعت ترد : «هذا ما ظننته . . فأنا من تستغرب تصرفي لا ڤيكتور . لا تستطيع أن تصدق أنني أعيش مع رجل بدون أن أقفز إلى أحضانه؟» .

وكان لقسوتها تأثير كبير . . فقد وضع لوغان الأكياس على الرصيف بدون أن يعير محتوياتها أهمية وأمسك بها من كتفيها يهزها .

ـ أنت على حق، على حق . . لا أستطيع . . فحياتك كلها تدور حول الرجال . . الغناء للرجال، وممازحتهم، السماح لهم بملامستك والصفير لك، ثم تتوقعين مني أن أصدق أنك تعودين إلى منزلك وتنامين بمفردك ليلة بعد ليلة؟ لست أبلهاً إلى هذا الحد .

ـ أنا لا أدعهم يلمسوني .

ـ رأيتك . . رأيت ذلك الرجل ذا الشارب .

ـ إنه صاحب الملهى . . نيل .

ـ أوه . . أنا واثق بأنك لطيفة كثيراً معه .

تركت نفسها تستسلم لغضب جارف فبرقت عيناها :

ـ أنت واثق؟ حسناً، احمل معك تلميحاتك القذرة وابتعد عن حياتي . . لوغان ردفورد، وداعاً!

بدأت مارغو البكاء لأنها انزعجت من الصوت الغاضب فصاحت آديل عوضاً منطق :



WWW.REWITY.COM

ـ انظر الآن ماذا فعلت.

سحب نفساً عميقاً ثابتاً، كانت يداه ما تزالان على كتفيها.

ـ أنت قادرة على إخراج أسوأ ما فيّ من طباع.. اسمعي.. آسف.. لم أقصد أن أقول شيئاً مما قلته..

قاطعته بغضب: «فكر فيها فقط».

ـ قد تدهشك الأشياء التي أفكر فيها وأنا معك، آديل.

تمتمت: «عليّ الاعتناء بمارغو».

ـ سأحمل المشتريات إلى فوق.

نظرت إليه بارتياك، عرفت أن أمامها خيارين: أن تودعه وفي هذه المرة إلى الأبد أو أن تدعوه إلى الشقة. أملى عليها تعقلها اعتماد الطريقة الأولى.. لكنها سمعت نفسها تقول:

ـ تستطيع الدخول قليلاً لو أحببت. سأعدّ لك فنجاناً من الشاي أو القهوة.

تردد.. وكأنه يوازن بين الخيارات ذاتها.. قال بلهجة رسمية: «شكراً لك».

لم تعرف ما إذا سرّته دعوتها أم لم تسرّه.

عندما دخل لوغان إلى غرفة النوم بدت صغيرة، خطت أمامه بتوتر:

ـ يجب أن أجري مكالمتين هاتفيتين.

جلس على الأريكة والتقط مجلة أسبوعية ليوهمها على الأقل بأنها في خلوة.

تمتم:

ـ أريد قراءة المقال المتعلق بقروض النقد الدولي.

شكرت لباقته بينها وبين نفسها.. أخرجت قطعة الورق التي كتبت عليها رقم الهاتفين وطلبت الرقم الأول:

ـ هل لي أن أتكلم مع لوسي؟



رد عليها صوت جذاب أجش:

ـ تتكلم.

ـ لوسي.. اسمي آديل لامبرت.. أعيش في الشقة رقم ٢٠٢.. وأتساءل عما إذا كنت قادرة على مجالسة طفلي هذا المساء.

ـ أنا آسفة.. لدي موعد.. مرة أخرى ربما.

ـ حسناً.. شكراً لك على أي حال.

وضعت السماعة من يدها.. وطلبت الرقم الثاني.. وانتظرت.. رنّ الهاتف في الجهة الأخرى أربع مرات فخمس فست.. في المرة الثامنة أعادت السماعة إلى مكانها.. إنها الآن مضطرة للاتصال بنيل.. فلا خيار آخر أمامها. مدت يدها إلى السماعة مجدداً ودعت الله ألا يكون غاضباً.

ـ أليس لديك من يجالس الطفلين هذه الليلة؟

قفزت مذعورة إذ كادت تنسى وجود لوغان.

ـ لا.. لقد أصيبت جليستهما بالأنفلونزا. وكل من حاولت الاتصال بها وجدتها مشغولة أو غير موجودة.. لكن لا بأس في هذا.. فأنا واثقة أن نيل قادر على وضع بديلة تسدّ غيبتي.

ـ سأبقى معهما.

ران صمت مطبق.. ودارت آديل حولها ببطء شديد.

ـ عفواً؟

ـ قلت.. سأبقى معهما إذا كنت تثقين بي..

جلست على ذراع المقعد التشسترفيلد.

ـ أتقصد هذا حقاً؟

ـ بالتأكيد.. وإلا ما عرضته.

ـ هل أنت واثق من ذلك؟ إن عملك هذا هو بمثابة عون كبير لي.. لقد اضطررت إلى إلغاء العمل ليلة السبت مرتين قبل الآن.. ولم يكن نيل مسروراً بهذا، والحقيقة أنني أخشى أن يحرمني من وصلة السبت. سأطهو



WWW.REWITY.COM

العشاء لك ثم أضعهما في الفراش قبل أن أخرج.. هما غير مزعجين في المساء، وهذا يعني أنك لن تكون مشغولاً بهما.

انهالت الكلمات بدون أن تتمكن من إيقافها.

أغلق لوغان المجلة ووقف ثم دنا منها ليجرها حتى تقف ولكنه أبقى يديها في يديه.

ـ لا حاجة لرشوتي بالعشاء آديل، ولا داعي للقلق على الطفلين.. فإن راحا يصرخان ويبكيان أثناء غيابك فلن أموت بل سأبقى حياً يرزق.

رفعت نظرها إليه صامتة.. زاد المصباح فوق رأسيهما من بروز الظل الأزرق الخفيف تحت عينيها، ومن إظهار التجويفات تحت عظم خديها.. لم يسبق أن نظر إليها بمثل هذا اللطف.. كانت يداه دافئتين ثابتتين. فجأة شعرت برغبة في البكاء.

ـ آه! شكراً لك.

وكان هذا كل ما استطاعت أن تتفوه به.

ـ أنت شاحبة ومنهكة.. آديل، ألا يعطيك والد الطفلين مالاً أو يساعدك بطريقة ما؟

لم ترغب في إبعاد هذا اللطف والحنان عن وجه لوغان.. لكنها لا تريد في الوقت ذاته أن تمضي في سوء التفاهم الحاصل بينهما، ولولا قربه منها وشعورها بالتعب لبدأت الشرح بدبلوماسية أكبر..

ـ هما ليسا توأميّ.

ترك يديها وارتدّ عنها.

ـ آديل.. لا تقولي هذا.. فلا داعي إلى ذلك.

سألت بحماقة: لا داعي إلى ماذا؟

ـ إلى الكذب عليّ.. على أي حال لا فائدة من ذلك فهما يشبهانك.

أغمضت عينيها قليلاً:

ـ إنهما توأما أختي.. كانا توأمي أختي.



ـ إنهما توأماك آديل.

ـ إنهما توأماي الآن، وأحبهما كما لو كانا طفليّ.. لكنني لم ألدهما.. لوغان.

أردف وكأنها لم تتكلم:

ـ لقد أخطأت.. لست المرأة الأولى التي تلجأ إلى كذبة كهذه، ولن تكوني الأخيرة.. أنت تعتنين بهما، تحبينهما، تعتنين بهما بأقصى جهدك.. فلا تكذبي في هذا الأمر.

ـ أنا لا أكذب.

ـ هل أحببت الرجل؟ هل كان متزوجاً؟

ـ لست أمهما.. جولي أمهما وكانت تشبهني كثيراً، ولهذا السبب تراهما يشبهانني.

ـ وأين أختك الآن؟

رفعت ذقنها بتحد وفي نيتها عدم الاستسلام للبكاء أمامه: ماتت.

ـ إذن لن تستطيع تأكيد روايتك ولا نفيها.

ردت بصوت مصدوم: هذا كلام شنيع.

ـ لكنه صحيح.

لديها في أدراجها صور لجولي وفونز والتوأم، صور عائلة سعيدة لا تشير أبداً إلى المأساة التي حلّت بعد أسابيع من التقاطها.. وهي قادرة على إحضارها ليراها لوغان ردفورد حتى تؤكد له قصتها بما لا يقبل الشك.. لكن شيئاً ما منعها.. رغبة عنيدة في تعليمه الثقة بها.. وفي تحويله على أن يحمل كلمتها على محمل الصدق.. هل هذا هو الأمر؟

سألت بفضول حقيقي:

ـ لماذا استنتجت أنني أكذب عليك؟ هل خدعتك أمك وأنت طفل؟

لم تتصور قط أن هذا ما ستكون عليه ردة فعله.. فللوهلة الأولى حسبته يهم بضربها فتقوقعت على ذاتها ورفعت يديها لتتقي الضربة.. لكنه



WWW.REWITY.COM

شد قبضتيه إلى جنبيه، وخاض معركة سيطرة على الذات.. ثم سأل بصوت فظ:

ـ ماذا تعرفين عن أمي؟

ـ لا.. لا شيء.. كيف لي أن أعرف شيئاً؟

هوت كتفاه:

ـ لا يمكنك ذلك.. أنا.. لماذا لا نضع المشتريات في مكانها ونحضر ما نأكله؟

بهذا أقفل موضوع أمه.. قالت آديل الحائرة أول ما خطر ببالها:

ـ الحديث معك أبعد ما يكون عن الملل.. نعم إنه يبعث في النفس السخط والإحباط، لكنه ليس مملاً.

كان قد استعاد معظم سيطرته على نفسه:

ـ وهل أعتبر قولك هذا مديحاً؟

ـ لا.. بل مجرد أمر واقع.. لكن سيكون مديحاً إن صدقت ما قلته عن التوأم.

ـ إذن عليك الاستعاضة بمدائح أخرى.. كأن أقول إن شعرك يلمع تحت الضوء كالذهب، وإن عينيك كبرعمي زهرة ربيع.

أحست آديل بقلبها يخفق وبالحرارة تتصاعد إلى وجهها، وعرفت أنها توردت كفتاة في الرابعة عشرة من عمرها.

لم يساعدها قوله الهادىء:

ـ وأزهار الورد على وجنتيك.

نظرت إليه بدهشة:

ـ لم ألتق قط رجلاً مثلك مثيراً للسخط.. من دقيقة إلى أخرى لا أتوقع أبداً ماذا ستقول أو تفعل.

تذكرت كلامها إلى فيكتور عن نويل الذي مثله لا يمكن التكهن بما في نفسه، لكن نويل لم يؤثر فيها قط كما يؤثر فيها لوغان.



قال:

ـ إنه تحدٍ لا أستطيع أن أرفضه.

قالت بارتباك:

ـ ماذا تقصد؟ لم..

وضع يده حولها، وأحنى رأسه ليعانقها وهو يهمس: هس!

* * *



WWW.REWITY.COM

# ٥ ـ ينام في بيتي

سمرت الصدمة آديل، فقد أدركت أن ما قاله صحيح.. كان عناقه دافئاً وشعرت بجسمها ينضم إليه كما شعرت بخفقات قلبه قوية تحت كفيها، أما رائحته فكانت رائحة النظافة والرجولة. ولكن قبل أن تستطيع سبر غور المشاعر المختلطة التي استحوذت عليها تركها وأسبل ذراعيه إلى جنبيه وبرقت عيناه الزرقاوان.

قال: «أردت القيام بذلك منذ اللحظة الأولى التي وقع بصري عليك».

سحبت نفساً عميقاً:

ـ هراء.. ففي المرة الأولى التي رأيتني فيها نظرت إلي نظرة اشمئزاز.

ـ لا أناقشك ما أشعر به نحوك.. بل أقول إنني أردت أن أعانقك.

ـ لأنك ظننتني سهلة المنال؟

ـ بل لأنك أجمل مخلوقة رأتها عيناي.

تمتمت بصوت ضعيف: «أوه...».

كان يجب أن تشكره ولكن قبل أن تتكلم أضاف:

ـ وأنت نحيلة كثيراً.

ـ شكراً كثيراً! هل استخدمت كلمة مثير للسخط في وصفي إياك؟

ـ لا.. ولا كلمة فظ.. غير محترم.. أو عديم الأخلاق.

ـ أنت تنتزع الكلمات من فمي!



www.Rewity.com
WWW.REWITY.COM

ضحك، فرأته للحظات أصغر سناً وإنساناً خالياً من الهموم مسترخياً.

ـ هذا ما ظننت أنني أفعله.. ماذا ستحضرين للعشاء؟

استحال على آديل المضي على هذا النحو في تقلبات مزاجه.

قالت: «لدينا معكرونة وهي ما تبقى من طعام الغداء ولدينا أيضاً سلطة وخبز وفاكهة».

ـ هل أستطيع تقديم يد المساعدة؟

ـ حضر السلطة ريثما أطعم التوأم.

ضبطت الراديو على المحطة التي تبث موسيقى كلاسيكية، ترغب في أن يهدىء توترها الذي يبعثه وجود لوغان معها في بيتها.. إنه شعور لم يسبق أن شعرت به مع فيكتور الذي تعتبره أخاً لها.. وكان مصدر راحة لها، أو هكذا ظنت، أن تهرب إلى ملاذ غرفة الجلوس لتأخذ معها طعام الطفلين.

بعدما أنهت إطعامهما مسحت بقايا الطعام عن وجه كنت وقبلته على شعره. كم تحب ملمس شعره الحريري ورائحة الطفولة فيه!

دخل لوغان إلى الغرفة: «أين هو..».

صمت ثم نظر إليها مفكراً.

شعرت بأنها ضبطت وهي تقوم بما هو مخجل.

ـ ماذا تريد؟

ـ أنت تحبين هذين الطفلين فعلاً.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. بالتأكيد أحبهما.

ـ لا حاجة لك إلى التأكيد. فهذا أكثر من ظاهر.

كادت تسأل: وهل أحبتك أمك؟ لكنها عضت لسانها لتلجمه وقالت بدلاً منه:

ـ اعتني بهما منذ ثمانية أشهر.. منذ شهر أيار الماضي.

تجاوز قولها:



WWW.REWITY.COM

ـ لو تخليت عنهما لكانت حياتك أسهل بكثير.

نظرت إليه بعداء ظاهر:

ـ لن أفعل هذا أبداً.

مسحت آخر بقعة عن ذقن كنت، ثم رفعته من كرسيه المرتفع.

ـ لِمَ لا؟

ضمت الطفل إلى صدرها وكأنها بذلك تحميه..

رد لوغان على سؤاله بنفسه:

ـ لأنهما طفلاك. أليس كذلك؟

قالت بجفاء: «لا جدوى من المناقشة.. لقد صممت على رأيك».

تقلب كنت بين ذراعيها فأنزلته ووجّهت اهتمامها إلى مارغو.

غيّر لوغان الموضوع بهدوء:

ـ جئت أسألك ما إذا كان لديك «خل».

ردت بأدب ملؤه التوتر:

ـ في الخزانة التي قرب المغسلة.

ـ سيكون العشاء جاهزاً بعد خمس دقائق.

أسرعت تنظف الكرسيين المرتفعين، وحضرت المائدة. وما إن أنهت هذا حتى جاء لوغان حاملاً طبقين من المعكرونة وطبقاً من السلطة. وانتبهت آديل إلى أنها جائعة..

فيما كانت تأكل طعامها بدأ يطرح أسئلة عن المدينة فاستطاعا بذلك التطرق إلى أحاديث مفيدة بعيداً عن الأمور الشخصية.. في النهاية نظرت آديل إلى ساعة المنبه الرخيص الثمن:

ـ عليّ أن أسرع.

ارتشفت آخر ما في قهوتها.

ـ ماذا عليّ أن أفعل؟

نظرت إلى وجهه وهي المرة الأولى التي تفعل ذلك منذ جلوسهما



معاً.

قالت بعجز:

ـ أنا.. أستغرب وجودك هنا.. أقصد..

ـ لا شك أنك استقبلت ضيوفاً هنا. لا يمكن لرجال نيواورلينز عدا فيكتور بالتأكيد أن يكونوا عميان إلى هذا الحد.

ـ وأين أو متى لدي الوقت أو الطاقة لاستقبال أحد كما تدعي؟ لدي التوأمان اللذان أعتني بهما طوال النهار، فأما المساء فللعمل.

ـ أتقولين إنك لا تواعدين أحداً؟

ـ هذا بالضبط ما أقوله لك.

ـ ألا تدعين رجالاً إلى هنا أبداً؟

ردت بصوت ملؤه التعب:

ـ عدا فيكتور وشريكه في السكواش بالكي، أنت الرجل الوحيد الذي دخل إلى هنا.

ـ فلنفترض أن هذا صحيح.. هل تنوين العيش حياة الرهبنة حتى يكبر التوأم ويتركاك؟

ـ لا أدري! ليس لدي الوقت لأقلق على هذا.

تشعر أحياناً أن جدران الشقة تطبق على خناقها وتأسرها في دوّامة من العمل المنزلي والأمومة بالوكالة. إنه يؤمن أن الطفلين ثمرة علاقة أقامتها وإنها تمارس علاقات أخرى.. لا مجال للتفاهم معه..

رفعت الكرسي إلى الوراء.

تخلى مرة أخرى عن الموضوع.

ـ سأنظف المطبخ فيما بعد.. هل عليّ القيام بغير هذا؟

ـ يجب تحميم الولدين ولكنني سأحممهما بنفسي.

ـ سأساعدك.

نظرت إلى سرواله الذي يبدو خط الكوي فيه مستقيماً كحد السكين



WWW.REWITY.COM

وإلى قميصه الخالي من أي عيب.

قالت: «لكنك ستبلل».

ـ المفروض أن يستحما هما لا نحن؟

ابتسمت: قل لهما هذا.

بعد عشر دقائق، كان التوأم جالسين في المغطس مع مجموعة من الألعاب البلاستيكية وغسلت الجسمين المنزلقين بالماء والصابون بسرعة.. بدا وجهها في خضم ذلك أحمر من التعب والتصق قميصها بجسمها.. قالت أخيراً:

ـ حسناً.. حان وقت النهوض من الماء.

كان لوغان يجلس على حافة المغطس مبتسماً.. رفعت مارغو ذراعيها إليه تغني: دادا.. دادا. فكبتت آديل ابتسامة.

ـ إنها تنادي الجميع «دادا».

ـ أجل.. إنها أنثى مثالية.

كشرت آديل وجهها:

ـ حسناً.. ألن تخرجها من المغطس؟

ركع قرب آديل ورفع الفتاة من الماء فلفها بالمنشفة بارتباك ولكنه ما لبث أن تذمر:

ـ إنها لا تبقى ساكنة.

قالت: «لم يسبق لك أن حممت طفلاً. أليس كذلك؟»

ـ لا.. فلم يكن لي شأن بالأولاد.

ـ أليس لديك أبناء أو بنات أخ أو أخت؟

ـ كنت الولد الوحيد.

ثم أضاف وكأنه لم يستطع منع نفسه:

ـ أمي مثلك أنت ارتكبت غلطة.

جمدت يدا آديل التي سألت لتبعد مشاعرها عن صوتها:



ـ أهكذا اعتبروك؟

ـ بل هكذا اعتبرني بالتحديد.

ـ لكن هذا رهيب.

ـ لا أبحث عن الشفقة.. انسي ما قلت! ماذا سأفعل الآن؟

مررت له البودرة، ثم بيجاما مارغو.. لم يخلِ والداها رغم تزمتهما وسالفتهما في حمايتها قط حبهما لها ولأختها جولي.. من هنا عرفت هي وأختها أنهما مرغوبتان وأنهما جزء لا يتجزأ من العائلة.

كسر لوغان الصمت:

ـ اسمعي.. آسف لأنني قلت هذا. لا تقلقي عليّ!

ـ لا أستطيع.. فأنا..

ـ آديل..

مد يده إلى كتفها فشعرت بالصدمة تسري في أوصالها، وامتقع وجهها حتى وردي.

فقال ببطء: «أتعرفين؟.. تتصرفين وكأنه لم يلمسك رجل قط.. أنت جميلة بل خلابة».

تحرك وكأنه يحلم.. وضع مارغو من يده ومال إلى آديل يعانقها. في عناقه حنان ورقة.. ارتفعت عيناها الزرقاوان المخمليتان إلى وجهه واستطاعت الإحساس بقلبها ينخبط في صدرها بشكل لا يصدق. الضوء الذي أشعله في أعماقها كان غريباً فلم يسبق أن شعرت بمثل هذا الفرح أو بمثل هذا التوق.. كانت مشغولة الفكر بردة فعلها لذا لم يكن معها الوقت لتحكم على ردة فعل لوغان، ثم شد كنت شعرها فتلاشت تحت السحر..

قالت:

ـ يجب أن نضعهما في الفراش.

لم تلاحظ كيف قالت بشكل طبيعي «نضعهما» بدل «أضعهما».



WWW.REWITY.COM

حمل لوغان الفتاة ووقف ينتظر آديل التي سارت أمامه متوجهة إلى غرفة النوم حيث قبلت كنت ووضعته في سريره ثم دثرته. أما لوغان فما يزال يحمل مارغو، لهذا اضطرت آديل إلى رفع جسمها لتقبل خد الطفلة الرقيق الوردي عندئذ شعرت بقرب لوغان منها. ثم وضع الفتاة في مهدها وأضاء مصباحاً ضئيلاً ضوؤه، بعد ذلك غادر الراشدان الغرفة.

أمسك لوغان بمرفقها فرفعت رأسها إليه.. قال:

ـ هذا عمل بيتي حميم.. أليس كذلك؟ أشعر وكأن علينا الجلوس لنقرأ أو لنشاهد التلفزيون، ثم نأوي بعد ذلك إلى فراشنا.

لم يكن يمزح.. فلا مرح أو ضحك في صوته، بل نبرة غضب خفي تورد وجهها وشعرت بنبضاتها تتسارع.. تعرف أن من الصعب عليه مقاومته إن حاول ضمها، ولكنه لا يريد امرأة.. أية امرأة أن تقترب منه حاولت التخفيف من المزاج المتوتر بينهما فقالت باختصار:

ـ حسناً.. نحن لا نستطيع هذا بكل تأكيد.. يجب أن أنطلق إلى عملي.

ـ لكنني سأكون هنا حين تعودين.

ابتعدت عنه.. وتساءلت عما إذا كانت بلهاء لأنها قبلت عرضه. فحين تعود ستكون فعلاً بمفردها معه. وماذا تعرف عنه حقاً؟ يعتقد أنه امرأة عابثة.. ويكره انجذابه إليها.. جسدياً هو أكبر منها حجماً وأقوى، وهذا ما لا يشجع.. استولى عليها الذعر، فقالت بحدة:

ـ إذا ظننت أنك ستحصل على شيء مقابل بقائك هنا فارحل حالاً.

ـ لكن عناقي أعجبك وقد تجاوبت معي.

من غير الجدوى أن تنكر:

ـ أجل.. أعجبني هذا.. ولكنه لا يعني أنني سأرمي بنفسي إلى أحضانك.

ـ ولِمَ لا آديل؟ فأنت لا تجدينني كريهاً ولا أحتاج إلى بعد نظر لأعرف



أنك امرأة مثيرة.. وإن افترضنا أن ما قلته عن علاقتك بڤيكتور صحيح، فهذا يعني أنك لست على علاقة مع أحد منذ زمن. سنكون أبلهين إن فوتنا الفرصة.

أشعرتها كلماته بأنها رخيصة.. ولكنها كبحت اندفاعها إلى مهاجمته لأنها ظنته يحاول امتحانها.

قالت بهدوء: أعرف أنك لن تصدق هذا.. ولكنني سأقوله على أي حال.. لم أعاشر قطّ رجلاً.. ولن أبدأ الليلة بهذا.. أنا لا أقدّم نفسي إلا إلى من أحب، إلى من أتزوجه.

قال ساخراً: «كلمات رائعة.. أنت تضيعين مواهبك في الملهى، يجب أن تعملي في المسرح».

شعرت بأنه صفعها فصاحت:

ـ فلتتصارح.. لن أسمح لك بالعبث معي عندما أعود الليلة.. وإن تجرأت ولمستني سأصرخ حتى أهدّم المكان.. لذا من الأفضل أن ترحل.

ولأن وراء غضبها جرحاً عميقاً سمعت لسانها يضيف:

ـ لم تقبل بمجالسة الصغيرين لتساعدني؟ ليس في قلبك حب للآخرين.. قمت بذلك لأنك خلت نفسك قادراً على الحصول على مقابل..

قاطعها: «هذا غير صحيح! لقد أردت فعلاً مساعدتك.. ولن أكون من البشر إن لم أساعدك».

ـ أوه.. أنت فعلاً لست من البشر، لأنك لا تعتبر النساء من البشر بل تكرههن جميعاً.

رد غاضباً: ستبدين كخالتي.. ولكنها تستخدم كلمة «الرهاب المرضي».

ـ حسناً.. إنها على حق فعلاً!

نظرت إلى الساعة فأضافت بشيء من اليأس:



WWW.REWITY.COM

- يا إلهي.. ليس هذا هو الوقت المناسب للمناقشة! سأتأخر مجدداً عن عملي.

- اذهبي واستعدي، سأنظف المطبخ.

نظرت إليه بعجز، فأضاف بنفاد صبر:

- هيا اذهبي.. لا تقلقي لن أهجم عليك حين تعودين.

طرقت الأرض بقدمها: أنت مستحيل فعلاً.

اتجهت إلى غرفتها وهي تقاوم اندفاعاً لتصفق الباب وراءها.. أنهت ارتداء ملابسها بعدما انتهت من التبرج ونظرت إلى نفسها في المرآة فإذا التأثير مذهل.. في بعض الأوقات تشعر أنها مصابة بانفصام في الشخصية.. فهي تختلف في النهار كل الاختلاف عما تكون عليه في الليل.

كان في غرفة الجلوس حين خرجت، فنظر إليها من رأسها إلى أخمص قدميها ولم يعلق بل اكتفى بأن قال:

- استقلي سيارة أجرة عندما تعودين.

- لن أتأخر كثيراً الليلة.

- آديل.. استقلي سيارة أجرة.

ارتفع ذقنها بتحدّ وتأرجح القرط الذهبي في أذنيها على عنقها.

- لا تقل لي ماذا أفعل لوغان ردفورد!

وضع الصحيفة من يده وتقدم إليها قائلاً والبسمة في عينيه:

- أرجوك آديل.. سأكون أسعد حالاً لو عرفت أنك عائدة بسيارة أجرة إلى المنزل.

قالت مهزومة: حسناً، هذا أمر مختلف.

- شكراً لك.

وقبل أن تعرف نواياه انحنى يعانقها: اعتني بنفسك.

كانت منذ لحظات غاضبة منه.. ولكن ما هي إلا بضع كلمات لطيفة



حتى شعرت برغبة في إرضائه.

تمتمت: «لقد لطخت قميصك بأحمر شفاهي».

فتشت في حقيبتها عن منديل ورقي، ومسحت البقعة.. كانت حركة عادية ومع ذلك بدت بطريقة ما حميمة كثيراً لذا تمنت لو امتنعت عن ذلك.

- يجب أن أذهب حقاً.. أتمنى على الله أن يحسن الطفلان التصرف.. عندي كتب كثيرة.. أعدّ قهوة إن رغبت فيها.

- هيا.. اذهبي آديل.

- حسناً.. أراك لاحقاً.

حثت الخطى في الشوارع الضيقة وهي تفكر في لوغان وغرابة أمره.. إنه فعلاً لغز محيّر ففي لحظة هو مهتم وفي أخرى هو فظ وناقد. تارة ينجذب إليها وأخرى ينفر منها.. لقد عرفت من تجربتها معه أنه قادر على السيطرة على مشاعره ولكن أتراه قادراً على أن يكون حنوناً محباً بمقدار ما هو بارد وغضوب؟

أحست بالفراغ والتعب وهذا ما يحدث عادة حين تنتهي وصلتها وتنزل عن المسرح.. لا تستطيع إعطاء المزيد.. استدعى موريس لها سيارة أجرة استقلتها.

كان لوغان نائماً في الأريكة وإحدى ساقيه فوق ذراع المقعد. كان شعره الأشقر أشعث.. بدا أصغر من عمره بكثير وأضعف.. وبدا كأنه في حاجة إليها.

فتح عينيه متأوهاً ثم راح يدلك عنقه:

- هل ستطردينني.. لا يفترض بجليس الأطفال النوم.. أليس كذلك؟

فجأة هاجمها عن غير توقع حياء شلّها..

تمتمت:



WWW.REWITY.COM

ـ هل سار كل شيء على ما يرام؟

ـ لا مشكلة.. لم يصدر عنهما أي صوت. يا إلهي عنقي تؤلمني.. أستحق هذا لأنني نمت أثناء تأدية عملي.

قالت لا إرادياً:

ـ اجلس لأدلكها لك.

أسرع يجلس لئلا تتردد.. ثم أحنى رأسه إلى الأمام استعداداً أما هي فنزعت معطفها، ورمت حقيبة يدها على الطاولة، ودنت منه تدلك عضلات عنقه. كانت لمستها ثابتة رقيقة.. كان معها في الجامعة زميلة من المؤمنين بالتدليك واليوغا، وقد علمتها شيئاً مما تعرفه وها هي تجد أن يديها لم تفقدا براعتهما.. لكنها أحست بألم بسبب ملمس بشرته وصلابة لحمه.

تأوه مغتبطاً: أنت بارعة في هذا.

تابعت تدليك عنقه وكتفيه حتى قال:

ـ أنت متعبة بلا ريب.. شكراً آديل.. أشعر بتحسن كبير.

هب واقفاً ثم نظر إليها صامتاً.. ولكن الكلمات انتزعت منه انتزاعاً إذ أضاف:

ـ آديل.. تعرفين أنه لا يمكنك المضي في هذا إلى الأبد. الاعتناء بالطفلين في النهار والعمل في المساء.. بدون أن تعطلي ولو يوماً واحداً.

لامس بإصبعه الظلال تحت عينيها.

ـ أنت مرهقة.. أليس كذلك؟

ـ أنا متعبة.. أجل.. ولكنني سأكون على ما يرام في الصباح.

ـ بإمكانك مقاضاة والد التوأم ليعيلهما.

أغمضت عينيها قليلاً وشعرت بجفنيها يحترقان من الدخان في الملهى.

قالت بصوت أجش متوسل:



ـ لا تبدأ بهذا مجدداً.. أرجوك، لوغان.

ـ ألن تتخلي عنهما أبداً؟

ـ لا.. لا.. لن أتخلى عنهما أبداً؟

ـ لكنك لن تستطيعي المضي في هذا.. ستقعين يوماً فريسة المرض وإن حدث ذلك فماذا ستفعلين؟ من سيعتني بهما؟

وكان هذا كابوسها اليومي الذي لا ينتهي.. قالت محطمة:

ـ لا أعرف.. إنما لماذا أمرض فأنا شابة سليمة الجسم؟

ـ إذا مرضت، خسرت عملك.

كان كلامه كالتهجم الجسدي إذ هاجم أعصابها الهشة..

قالت بحدة: لن أمرض.

ـ يجب أن تقبلي مساعدة مالية من أحد آديل.

نظرت إليه:

ـ تدبرت أمري حتى الآن وسأتدبره لاحقاً.. على أي حال أنا لم ألتق قط بخالتك.. فكيف أقبل المال ممن لا أعرفه؟

ـ سافري معي إلى كيبيك لتتعرفي إليها.

ارتفعت عيناها إلى عينيه:

ـ سأخسر عملي إن سافرت معك.

ـ إذن.. إن كنت ترفضين مالها فاقبلي مالي!

ـ لا! كيف أقبله؟

ـ ببساطة.. سأحرّر لك شيكاً تحملينه إلى المصرف لتقبضيه.

ارتدت عنه:

ـ لا أستطيع لوغان.. هلا أنهينا هذا الحديث! فأنا متعبة.

ـ اسمعي آديل.. سأضطر عاجلاً أم آجلاً للعودة إلى كندا.. فلن أبقى هنا إلى الأبد.. لدي عنوانك.. وإن طلبت من التانت كايسي تحرير شيك لك فلن تقدري على القيام بشيء.



WWW.REWITY.COM

ـ بل أنا قادرة على تمزيقه أو إعادته من حيث أتى.

ـ لماذا أنت متكبرة إلى هذا الحد اللعين؟ لا تتخذي أصلك «التيوانغلندي» ذريعة من جديد فلست في موقف يسمح لك بالتكبر آديل لامبرت. إن مرضت فلن تتأثري أنت فقط بل التوأم أيضاً.. هل ستتركينهما يعانيان بسبب مبادئك المزعومة؟

ـ لا تصرخ في وجهي.. ستوقظ الجيران.. ثم توقف عن المبالغة.. فالطفلان لا يعانيان ولن يعانيا فأنا كفيلة بذلك.. لم يشب حياتي شائبة حتى دخلت إلى حياتي. وكنت ناجحة حتى الآن.

ـ أوه بالتأكيد ناجحة.. أنت متعبة تعباً شديداً.

زفر أنفاسه بقوة وتنهّد ساخطاً:

ـ اللعنة.. كيف بدأنا هذا النقاش على أي حال؟ لا تقولي إنني من بدأ به وإلا عدنا إلى الشجار مجدداً.

تصاعدت روحها المرحة رغم تعبها لتنقذ الموقف:

ـ لا شك عندي أنك على صواب.

ثم تثاءبت لا إرادياً.

ـ آسفة.. صدقني لا أتثاءب لأن صحبتك تضجرني.

رد بصوت غريب: لا.. فنحن لا نضجر بعضنا بعضاً.. أليس كذلك؟

ـ مستحيل.. يجب أن أستحم فرائحتي دخان.

ـ سأعدّ لك شراباً ساخناً ثم أذهب. كاكاو أم شاي؟

ـ كاكاو أرجوك.. لكنك ستفسدني دلالاً.

كشفت هذه الملاحظة عما في نفسها.

ـ يحق لك ببعض التدليل.. هيا اذهبي.

عندما عادت إلى المطبخ قالت شاكرة بامتنان وهي تشم رائحة الكاكاو:



ـ تبدو لي لذيذة.. فلنجلس.

قدّم لها أحد الكوبين ثم سبقته إلى غرفة الجلوس.. جلس لوغان قربها وأخذ يحدثها عن مقالة في الجريدة كان يقرأها قبل أن يغفو. أصغت آديل إليه باهتمام ولم تحاول التعليق أو طرح سؤال. بدا الوضع بينهما طبيعياً.. رمى ذراعه حول كتفيها ليقربها إليه فوضعت كوب الكاكاو من يدها وأسندت رأسها إلى كتفه، وأطبقت أجفانها.. لم تحاول تحليل الشعور بالأمان الذي خيّم عليها.. بل تركت نفسها تنجرف في مدّه.. ثم سرعان ما انتظمت أنفاسها واستلقى رأسها على تجويف عظم كتفه.

* * *



WWW.REWITY.COM

# ٦ ـ كسر قلبها

جلس لوغان جامداً... عندما رآها نائمة اشتدت ذراعه قليلاً، وترك خده يستريح على خصلات شعرها المبعثرة.. لم يكنِ في وضعها ما يستفزه ولم يقدر على اتهامها بالإغواء.. فبكل بساطة تغلب عليها التعاس بسبب التعب الذي تراكم منذ أشهر.. ولكن منذ ثمانية أشهر فقط أم منذ ثمانية عشر شهراً؟

تكتكت ساعة المنبه الرخيصة على رف الكتب وتأوه أحد الولدين في منامه.. وصعد شخص ما الأدراج إلى طابق مجاور.. ومن بعيد سمع لوغان صوت مرور السيارات. أما غير هذا فلم يكن هناك غير أنفاس آديل البطيئة المنتظمة.

جلس لوغان مدة خمسة عشر دقيقة بدون حراك. في هذا الوقت كانت عيناه تنظران إلى السجادة القديمة المهترئة وعقله في مكان آخر.. كانت كاسندرة على عكس آديل فهي لا تقلق أبداً من أين يأتيها القرش التالي.

رغب جزء منه في أن يبقى هكذا الليل بطوله لئلا يزعج الفتاة النائمة بسلام على تجويف ذراعه.. ولكنه عرف أن هذا مستحيل.. فستكون أفضل حالاً في فراشها. إنها بحاجة للنوم.. أما هو.. فمن يعرف ماذا يحتاج؟ هو نفسه لا يعرف شيئاً عن ذلك..

حرك ذراعه فاستيقظت مجفلة. بدت عيناها الليلكيتان مذهولتين.

ـ ماذا.. آه! لوغان.



WWW.REWITY.COM

فركت عينيها بطريقة طفولية: لقد غفوت.

- أجل.. يجب أن أذهب آديل.. هل لي أن ألقاك بعد العمل ليلة الغد؟

حاولت دفع ضباب النعاس عنها، ترى وجهه القريب من وجهها.

تمتمت بتردد:

- أستيقظ عادة في الثامنة صباحاً وأحاول النوم باكراً.

- سألقاك إذن لنسير معاً إلى البيت.

كيف تجادله؟ وجدت أنها لا تريد، ففكرة رؤيته مجدداً أعطتها شيئاً من الترقب. وهذا ما دفع البسمة إلى شفتيها...

زرّر قميصه وربط ربطة العنق ثم ارتدى سترته. راقبته بشغف وأحست كأنها مراهقة في نهاية موعدها الأول.. ربت على جيبه ليتأكد من وجود المفاتيح فيها، ثم التفت إليها فرأى جسداً نحيلاً ضعيفاً في روب منزلي رخيص أزرق.. تردد كأنما علق في ذات التردد الذي يتمسك بها، ثم اجتاز المسافة بينهما ووقف أمامها بدون أن يلمسها.. وقال ببطء:

- ستكونين على ما يرام.. أليس كذلك؟ لا أحب فكرة بقائك وحيدة هنا.

- سأكون بخير.. سأقفل الباب وأضع السلسلة.

- أنا.. تصبحين على خير آديل.

- تصبح على خير لوغان.

ظنت أنه سيتركها بدون أن يلمسها ولكنه في آخر لحظة جذبها إليه بقوة وعانقها.. عناقاً حميماً عميقاً هزَّ مشاعرها فاستيقظت. طوقت ذراعاها عنقه وعبثت أطراف أصابعها بشعره الناعم الكثيف..

فجأة أبعدها عنه لتنظر عيناه إلى الوجنتين المتوردتين وإلى العينين اللتين أصبحتا سوداوين، بحثاً عن ردود على أسئلة لم يفكر فيها حتى الآن.



WWW.REWITY.COM

قال بفظاظة وهو يدفعها عنه:

ـ هذا جنون.. لن أتورط معك آديل.. لا مكان لك في حياتي.

سمعت الكلمات ورأت في عينيه الصراع ما بين الحب والإحباط..

ـ أراك غداً.

ـ لماذا لوغان؟

يخرج السؤال المختصر من بين شفتيها بيرود.

ـ ماذا تعنين بسؤالك هذا؟

ـ لماذا تزعج نفسك برؤيتي مرة أخرى ما دمت لا تطيق رؤيتي؟

مرر أصابعه في شعره فبعثره أكثر فأكثر:

ـ لأنني أشعر أنني بت مسؤولاً عنك..

لامس فيها هذا وتراً حساساً:

ـ حسناً.. لست مسؤولاً عني.

ـ كيف لي أن أواجه خالتي وأنا أعرف الوضع الذي أنت فيه؟

ـ ألهذا عانقتني؟

اشتد ضغطه على فكه:

ـ عانقتك لأنك أجمل امرأة رأيتها في حياتي.

ـ آه! لكنني لا أعجبك.

ـ سأكون صادقاً معك آديل.. لا أعرف ما هو شعوري نحوك.. أنا أحترمك بسبب طريقتك في العناية بالتوأم.. ولكن عندما أراك وأنت مرتدية هذه الملابس المثيرة وأنت تغنين في ملهى ليلي.. أشعر بأنك امرأتان مختلفتان.. واحدة أحترمها وأخرى..

ـ تشمئز منها.

ـ أجل..

عنّت على بالها فكرة لم تستطع إلا ذكرها:

ـ لأنني أذكرك بأمك.



اشتدت قبضتاه إلى جنبيه واتخذ فمه خطاً بشعاً. عندئذ عرفت أنها أصابت فيه مقتلاً:

ـ هذا ما لا يعنيك آديل.

ـ وهذا شأني معك. لا علاقة لي بحياتك.. لذا لا تزجّ أنفك في حياتي.

رد ببطء وهو يسترخي:

ـ نلت مني في هذا.. أواثقة أن درجتك الجامعية في العلوم لا في الفلسفة؟

ـ كل الثقة.

شعرت بأنها تهتم كثيراً بما يظنه لوغان فيها.. أما مع نويل، فلا تهتم أبداً بما يفكر فيه أو يظنّه.

قال بصوت فظ:

ـ عندما تنظرين إليّ على هذا النحو، تدفعني مشاعري للبقاء.. لكنني لن أبقى بل سأكون عاقلاً وأعود إلى فندقي على أن أراك ليلة الغد.

همست: تصبح على خير لوغان.

ـ تصبحين على خير.. اعتني بنفسك.

قالت بهدوء:

ـ سأعتني بها.. و.. لوغان.. شكراً لك على مساعدتي الليلة.

انبعث منه صوت غريب ولكنه ما لبث أن رفع يده محيياً وغادر الشقة.

كان الأحد عكس السبت، فهذا اليوم حمل معه لمسة سحرية إذ نام التوأم حتى وقت متأخر، فلم يستيقظا حتى تجاوزت الساعة الثامنة.. أما الشمس فأشرقت باعثة وهجاً ذهبياً إلى الغرفة فشعرت عندئذ بالحياة تدبّ في جسدها.. تذكرت لوغان وعناقه فشعرت بالدفء في قلبها.. ثم فكرت يا ترى هل بدأ يرى ما هو أبعد من ماكياجها وأناقة مغنية الملهى؟ وهل توصل إلى المرأة الحقيقية؟ المرأة الحقيقية.. آديل لامبرت التي



WWW.REWITY.COM

تذمرت لڤيكتور لأنها لم تحب حباً حقيقياً قط، والتي قالت للوغان إنها لم تعاشر رجلاً يوماً..

هو يريد بالتأكيد مقابلة آديل الحقيقية هذا اليوم بعدما تنهي عملها.. مع ذلك فستكون مرتدية ثياب العمل.

تحركت فوق الوسادة فوقع شعاع الشمس على وجهها كله.. أغمضت عينيها متجنبة نورها.. ما أسهل أن تضيف بعض الحقيقة الصادقة إلى آديل لامبرت الحقيقية.. نظرة واحدة إلى صور جولي وفونزي مع التوأم وسيعرف لوغان أنها ليست أم كنت ومارغو.. وبهذا تؤكد له براءتها وتعطيه دليل صدقها.

لكنها لن تريه تلك الصور.. لأنها تشعر بأن عليه التوافق معها كما تشعر بأن عليه محاربة شياطينه والانتصار عليها.

شعرت بأن لذاك الأسى في نفسه علاقة بأمه التي اعتبرت ابنها الوحيد «غلطة لا تغتفر» وشعرت بأن الضرر الذي أصابه، أصاب فيه أعمق أعماقه وأبعده عن كل ما هو عادي ومهم كالحب والثقة والفرح.. وغيّر حياته بحيث أصبح وحيداً فجعله لا يقرّب امرأة أو طفلاً إليه بدافع الحب. أحست بكراهية تجاه تلك المرأة المجهولة التي أفسدت حياة ابنها الوسيم الأزرق العينين.

بعدما أنهت عملها المنزلي، ألبست التوأم ثياب الخروج ورافقتهما إلى الساحل لتريهما المراكب التي ستعبر المسيسيبي اليوم.

عادوا إلى المنزل بتكاسل، ولكنها أحست بأن في قلبها شيئاً من الحبور ولم ترد أن تحلل أسباب مزاجها هذا.. لم يعد لوغان إلى كندا، بل اختار البقاء في نيواورليانز.. فهل تجرؤ على التفكير في أنه لا يريد مفارقتها؟

ما إن وصلت إلى الشقة حتى رأت ڤيكتور قادماً من الشارع فكان أن تلقت منه يد المساعدة في إيصال الولدين والعربة إلى فوق.. صدفة



صغيرة ولكنها بشرى خير.

- بيض مخفوق يكفي للغداء؟ كيف كانت عطلة الأسبوع؟

ابتسم لها: عظيمة! بعدما ركضنا خمسة أميال خرجنا للعشاء ثم السينما. في الصباح الباكر شاركنا في قداس الصباح ثم قمنا بعد ذلك بدورتي تنس.

- وماذا عن مشوار في ضوء القمر؟

رد بخجل: لم أرد ذكر هذا لك.. إذ لا أرغب أن أعطي الولدين أو أعطيك أنت أية أفكار.

تذكرت ما كانت تفعله في وقت متأخر من ليل أمس وشغلت نفسها بنزع سترتي الطفلين، ووأسها محني.

تمتمت: «لم تقل لي إذا كان البيض المخفوق مناسباً للغداء».

- بالتأكيد. سأعدّه بنفسي.. آديل.. لقد تحدثنا إلى والد إيموجين وحددنا موعداً تقريبياً للزفاف في منتصف تموز.. ستأتي إيموجين لقضاء عطلة الأسبوع هنا.. مع أمها بالتأكيد.

فقس البيض في المقلاة ببراعة ثم أردف: الشيء الوحيد الذي يكدرني هو إقدامي على تركك بمفردك.. هل تتوقعين أن يشاركك أحد الشقة؟

ردت بثبات:

- حتى الآن لم أبحث عن أحد.. لكنك أعطيتني وقتاً كافياً لأفتش ڤيكتور.

قال بصوت كئيب غير عادي:

- سأفتقدك وأفتقد التوأم.. أتمنى.. آه! اللعنة.. آديل ليتك تتزوجين نويل هذا.

قالت مازحة:

- أنت لا تريد أن تثقل ضميرك.



WWW.REWITY.COM

عقد حاجبيه: تعرفين أن الأمر ليس هكذا.. أريد أن تكوني سعيدة.. ولأنني سعيد جداً مع إيموجين.. أعتقد على الجميع أن يتزوج.. ما رأيك بهذا الغرور؟

- لكنني لا أحب نويل..

- ولو قليلاً؟

- ولو قليلاً! قليلاً!

- كم قطعة توست؟

فجأة غرقت في أفكارها ففي اليومين الماضيين عرفت أمراً بسيطاً له دلالة كبيرة.. لقد أمضت وقتاً طويلاً مع لوغان ردفورد.. مع ذلك لم يؤثر نويل فيها كما أثر فيها لوغان. عرفت عن لوغان أشياء كثيرة.. عرفت كل تبدلات صوته وأحست بكل تغيير في تعابير وجهه، وأحست بكل الكآبة الرازحة في شخصيته وشعرت أيضاً بألمه وكأنه ألمها. فكيف تتزوج بنويل بعدما عرفت في نفسها القدرة على هذا التجاوب مع رجل آخر؟ لن تستطيع..

سكب ڤيكتور لها فنجان شاي.

- هل تعملين من الرابعة إلى الثامنة اليوم؟

- أجل.. ولكن شخصاً ما سيلقاني فيما بعد. وقد نذهب إلى مكان ما أو نسير.. لذا قد أتأخر قليلاً.

نظر إلى عينيها اللتين أخفتهما عنه وإلى وجنتيها المتوردتين فامتنع عن ذكر الملاحظات الساخرة التي كان سيقولها.

- لا مشكلة.. خذي وقتك.

دفنت وجهها في فنجان الشاي: شكراً.

بعد الغداء نام الطفلان فعمدت آديل إلى أخذ قيلولة صغيرة، ثم استيقظت منتعشة. كان ڤيكتور في غرفة الجلوس غارقاً في كتاب «الدفاع عن النفس».. جلست قربه وراحت تنظر إلى صورة امرأة شابة تحاول



جهدها وخز عين رجل غاضب.

قالت بصوت ضعيف:

- رائع.. أعتقد أنني قادرة على هذا عند الضرورة.

- أرجو ألا تضطري أبداً.. اسمعي آديل.. اعملي معي معروفاً.. ارتدي بذلة الرياضة.. أريد أن أجرب بعض هذه الحركات.

نظرت إلى الصور بعدم ثقة:

- لا أدري إن كنت أريد هذا..

- سنجرب على كل حال. هيا.. اذهبي.

ارتدت في غرفتها سروالاً مطاطياً وتيشرت مناسب.

عندما عادت حذرته: ليس لدي وقت طويل.. يجب ألا أتأخر عن موعد العمل.

- لن تتأخري.. حسناً، انزلي إلى الأرض هكذا وكأنما أحدهم رماك إلى الخلف أو كأنك وقعت.. الآن سأهجم عليك.. حاولي مواجهتي.. حاولي تعليق ساقك وراء عقبي ثم اركليني على ركبتي.. إنما ليس بقسوة.

نفّذت تعليماته بحذافيرها.. في المرة الأولى كان أسرع منها فتجنبها بسهولة.. ولكنها في المرة الثانية صوبت ركلة إلى ركبته ثم أوقعت به، وصاحت ضاحكة: لقد نجحت!

هبّ على قدميه:

- أنت على حق.. حاولي مرة أخرى.

ما إن أتقنا هذه الحركة حتى أظهر لها ڤيكتور كيف تنجو إن كان المهاجم جالساً فوقها.. ولكن هذه مسألة استغرقت وقتاً أكبر بكثير. أخيراً تمكنت من إدارة جسمها بحيث وقع ڤيكتور جانبياً فاقداً توازنه..

قالت: هذا أمر مسل.. هل من مزيد؟

دلّك وركه مبتسماً:



WWW.REWITY.COM

ـ الأمر مسل لك، ربما.. هناك حركة واحدة بعد.. في هذه المرة سأحاول أن أخنقك وعليك أن تتخلصي.

ـ أحمد الله لأنني أثق بك.

ـ أستطيع رؤية عناوين الصحف: خانق نيو أورليانز يضرب مجدداً.. حسناً.. يجب أن تستخدمي ذراعيك وقبضتيك هذه المرة..

اتبعت آديل تعليماته بحذافيرها. لكن حين حاولا التنفيذ انتبهت إلى أن وجهه صارم وخال من أي تعبير متعطش للدم، فأغرقت بالضحك.

تذمر: «هيا الآن آديل.. حياتك في خطر».

ـ لا أستطيع.. تبدو مضحكاً!

بدأ يدغدغها.. فصاحت ضاحكة وتلوت بين يديه لتتخلص منه.

لم يسمع أي منهما قرعاً على الباب ولم يشعرا بالرجل الواقف في الباب، كان المنظر أمامه لا يحمل سوى رسالة واحدة: الفتاة الضاحكة عالقة تحت الرجل، والرأس الأسود يلامس رأساً أشقر..

قال ڤيكتور: «لسنا جادين لتتم هذا..».

ـ أتريد مني أن أصيح «اغتصاب.. النجدة؟». قد يأتي السيد كانبستر لنجدتي.

وأغرقت أكثر فأكثر في الضحك.

ـ أنت عاجزة.. من الأفضل أن نبدأ مجدداً.. هيا قبل أن يستيقظ التوأم.

قاومت لتوقف ضحكها.

ـ أعرف أن هذا أمر جاد ڤيكتور لاوسون ولكنني أدرك أيضاً أن عليّ الذهاب إلى العمل. إن ظننت أنني سأمضي بعد الظهر وأنا مستلقية على ظهري لتتمكن من...

ثم استرعى انتباهها شيء ما في الصمت الذي أطبق على الغرفة.. ارتدت جانباً فتلاشت الضحكة عن وجهها وشهقت: لوغان؟ ماذا..



كانت عيناه كلوحي ثلج أزرق.. شفتاه مزمومتان اشمئزازاً.. لكنه قال:

ـ شعرت بشيء من الرومانسية، حتى فكرت في زيارتك مع شيء من الزهور.. ولكنني أراك وجدت شيئاً رومانسياً خاصاً بك..

قصم بعنف سيقان الزهور ورماها أرضاً.. ثم ارتدّ على عقبيه.

عندما صفق الباب اهتزّ كل عصب في جسم آديل، ولكنه دفعها في الوقت ذاته إلى الحركة.. فشدت لتتخلص من قبضة ڤيكتور: اتركني.

لكن ڤيكتور كان ينظر إلى الباب المغلق بذهول كامل.

ـ من هذا بحق الله؟

ردت ببلاهة..

ـ صديق.. ڤيكتور دعني!

ضربته بقبضتها بطريقة توافق عليها تماماً فنون المحاربة في كتاب الدفاع عن النفس.. بحيث أدرك أنها جادة.. فانقلب عنها.

ـ لكن.. لماذا..

لكن آديل وقفت على قدميها متعثرة وهرعت إلى الباب تفتحه بحدة.. كانت الردهة فارغة.. تابعت نزول الدرج بتهور.. فعلقت إصبع قدمها بخيط من سجادة الدرج فاندفعت إلى الأمام.. مدت يديها لتتمسك بالسياج لكنها تابعت انقلابها رأساً على عقب حتى وصلت إلى الأرض الناعمة.

ـ آديل هل أنت بخير؟

نزل ڤيكتور الدرج درجتين درجتين وجثا على ركبتيه قربها يكرر بلهفة:

ـ هل أنت بخير؟

لكن صوته لم يكن ما تريد أن تسمعه..

تمتمت: أهو في الشارع؟ هل ذهب؟



WWW.REWITY.COM

باختصار: ذهب.

ـ آه! اللعنة.

ثم أجهشت بالبكاء.. وأخذت دموع الألم والإحباط بالانهمار على وجنتيها بغزارة.

صُدِم ڤيكتور فليست آديل امرأة تبكي بسهولة. بحث عن منديل ورقي في جيبه ووجد واحداً مجعداً، نظر إليه بريبة ثم مسح دموعها وقال بصوت متجهم:

ـ لا تبكي.. اسمعي.. أيمكنك تحريك ذراعيك وساقيك؟ هل انكسر فيك شيء؟

قلبي فقط.. لكنها رمت بهذه الفكرة السخيفة بعيداً وحركت أطرافها على مهل:

ـ لا.. أنا على ما يرام.

ـ قفي.. إذن.

رفعها برقة على قدميها. تمسكت به آديل بغير خجل، وكان دمها يضج في أذنيها.

تمتمت: إنه أغبى عمل قمت به قطّ.. إنها المرة الثانية التي أقع فيها عن الدرج.

قال لها: «أنت لا تتعلمين بسرعة».

ساعدها على ارتقاء الدرج الضيق ولكنها شعرت بأنها أقوى وبأن الدوار زال.. جلست على مقعد تتحسس الكدمات في مرفقها وركبتيها، وفي جانب وجهها الأيمن. أدركت أنها كانت محظوظة إذ كادت تكسر ذراعاً أو كاحلاً.. وعندئذ ماذا كان سيحل بها؟

جلس ڤيكتور على ذراع المقعد:

ـ أنا أعدّ لك الحمام.. بعدما تستحمين استقلي سيارة أجرة إلى العمل.. ولكن قبل ذلك هلاّ فسّرت ما كل هذا.. أم لعلك لا تريدين



إخباري؟

شربت الماء الذي نزل إلى جوفها بارداً منعشاً.. ونظرت إلى كومة الزهور قرب الباب:

ـ أتظن أن زهرة ما سلمت منه؟ أتراها انكسرت جميعاً؟

شعرت بغصة في حلقها فتوقفت عن الكلام.. عندئذ هبّ ڤيكتور واقفاً ليحضر الزهور المحطمة.. كانت الفريزيا بلون عاجي بعض زهورها محطمة والكاميليا بلون أحمر رائع..

قال:

ـ فقدت بعضها سيقانها الطويلة ولكنها ما زالت مقبولة.. سأرى ما أفعله لإنقاذها والآن هلا استعديت للعمل.. أهذه طريقة مهذبة لتقولي لي «اهتم بشؤونك؟»

ـ لا.. لا.. اسمه لوغان ردفورد.. وهو كندي كانت خالته صديقة مقربة من أمي.

أحست بالراحة لأنها باحت له بكل شيء.. بدءاً من لقائها الأول به انتهاءً بما حدث في الأمسية السابقة عن بقائه قرب التوأم، ولكنها لم تخبره بما جرى بينهما من عناق أو عن تجاوبها الغادر، مع أن التردد الذي لاح في صوتها وإخفاء عينيها عنه أخبراه أكثر مما تدرك.

أردفت بحذر:

ـ المشكلة أنه يكره النساء.. أو على الأقل أعتقد أنه لا يثق بالنساء أبداً.. وهو يظنني أنتقل من أحضان رجل إلى أحضان آخر. وقد اضطررت إلى الإفراط في الشرح له حتى أبيّن له أن ترتيبات سكننا هي محض عملية.

فهم أخيراً الموقف:

ـ هكذا إذن.. فعندما وصل اليوم ورآنا نتدحرج على الأرض ظن أننا غارقان في ما هو شائن.

قالت غاضبة: «لا تكن مسروراً بهذا.. أظن أن المفطس امتلأ الآن».



WWW.REWITY.COM

هبَّ واقفاً: «نسيته».

ثم عاد بعد قليل ليسأل بفضول حقيقي:

- ومتى يظنك تقومين بهذا كله؟ ليته يعرف مدى براءتك!

- ربما أنا كما أنا لأنني لم ألتق بالرجل المناسب.. هذا كل شيء.

نظر إلى وجنتيها المتوردتين: ربما التقيت به الآن.

- هراء.

نظر إلى ساعته: «هيا استعدي.. سأستدعي سيارة أجرة.. لماذا لا تتصلين به في فندقه لتدعيه إلى هنا؟ سأشرح له ما أنت عليه حقاً».

- لا أعرف أين يقيم. كان يفترض أن ألقاه بعد العمل.. ولكنه لن يأتي، أنا واثقة من ذلك.

ارتجف صوتها رغماً عنها:

- سيستقل أول طائرة ويعود إلى كندا.

- أراهنك أنه سيكون بانتظارك.. لقد رأيته لبرهة فقط، ولكنني أجزم أنه يكترث بك.

لكنها لم تكن واثقة ثقة ڤيكتور بأن لوغان سيكون بانتظارها في الساعة الثامنة.. ولماذا ينتظرها؟ لقد تأكد من أسوأ ظنونه بها.

ارتدت ثيابها بعناية ثم راحت تتبرج لتخفي الظل الأحمر القاتم على وجهها ولكنها لم تفلح.. نظرت إلى شكلها ببؤس وراحت تدعو إلى بارئها: أرجوك ربي اجعله يأتي.. أرجوك!

* * *



WWW.REWITY.COM

# 7-متي يثق بها؟

لم يكن الملهي مكتظا بالناس فالوقت مازال باكرا .. و بالتأكيد لم تجد أثرا للوغان ردفورد و لكنها لم تكن تتوقع وجوده .. دنا نيل منها في الاستراحة فشرح لها أن بديلتها آتية في السابعة و النصف لا في الثامنة .. وهذا يعني أن بامكانها الخروج باكرا قليلا . لولا اتفاقها مع لوغان لشعرت بسعادة عارمة فهي تشعر بالألم .. حين وصلت زميلتها توجهت إلي غرفة الاستراحة حيث مشطت شعرها و أصلحت احمر شفاهها و لكنها شعرت بضيق في حلقها , و بدأ قلبها يخفق خفقات بطيئة . شعر جزء منها أن لوغان لن يغادر نيواورلياتز بدون أن يودعها .. أما الجزء الآخر , الجزء الذي يتذكر بوضوح الاستهجان المرير علي وجهه و هو واقف بالباب فكان متأكدا انه رحل إلي الأبد .

كان الظلام شديدا في الخارج .. جابت عيناها الشارع يمنة و يسري .. فرات جماعة من الشبان في البعيد .. و سيارة الأجرة تتعطف و لكنها لم تجد أثرا للوغان .. ابتلعت ريقها بقسوة و نظرت إلي ساعتها .. لقد بكرت في الخروج عشرين دقيقة عن الموعد لذا لا داعي للذعر .

ذرعت الرصيف صعودا و نزولا .. بدت طيفا نحيلا رشيقا يرتدي معطفا خفيفا . ابعد ثلاثة شبان أنفسهم عن المجموعة و بدأوا بالمسير نحوها , كانوا يترنحون فوق الرصيف و تحته , يتدافعون و يتخابطون .. نظرت عامدة متعمدة إلي الجهة الاخري .

قال أحدهم: «حسن جداً.. ماذا لدينا هنا؟»

وقال الثاني: «هاي.. ليست سيئة. ما اسمك حبيبتي؟»

أدارت آديل نظرة باردة إليهم: أنتظر صديقي.

- بالتأكيد، هذا ما تقوله الكثيرات.. أهو مصارع؟ فهذا ما يثلك كذلك.

وقف أطولهم أمامها وعلى ما يبدو أنه الزعيم.. إنه يرتدي سترة جلدية سوداء وجينزاً.. ويضع حول عنقه عدداً من القلائد ويضع في معصميه أساور كثيرة.. إنه نحيل جداً، ولكن مظهره لا يخدع آديل. عرفت أنه خطير فليس في عينيه لطف أو رحمة.

قالت بثبات: «الواقع أن هذا صحيح».

أمسكها أحدهم بكم قميصها.. كان أقصر قامة وهو إلى ذلك متسخ. نفضت ذراعها منه وصاحت غاضبة: «لا تفعل هذا!»

دار الثالث حولها.. فتفجر الرعب في حلقها، وعرفت أن من الأفضل لها أن تهرب عائدة إلى الملهى. ارتدت تريد الخلاص من قبضة الشاب القذر.. ولكن الثالث أصبح خلفها، يسد عليها الطريق ثم نظرت إلى عينيه فإذا هما سوداوان كعيني حية رقطاء فذعرت أشد الذعر.

قطع صوت رجل الجو المتوتر:

- هل يزعجك هؤلاء الرجال آديل؟

ارتدَّ رأسها لتواجهه. كانت عيناها البنفسجيتان تبرقان خوفاً فصاحت:

- لوغان..! قلت.. لهم إنني أنتظرك.

تجمد المنظر للحظة.. فالرجل الكبير الأشقر وقف مسمراً وكان وجهه خالياً من أي تعبير والفتاة بدت مذعورة. كسر لوغان الصمت وسأل بلطف وهو يتكلم:

- لماذا يا شباب لا تتحركون من هنا ولا تعودون مرة أخرى؟



لم يكن في صوته أية مشاعر تزيد عما في وجهه. لم يتلفظ بكلمة عنف واحدة.. لم يقم بحركة.. كانت يداه في جيبيه.. فجأة أحنى «الزعيم» كتفيه وأنزل نظره عن نظر لوغان وتمتم شيئاً من بين أنفاسه فارتدَّ الثلاثة الذين ابتعدوا ثم اختفوا في الظلام.

زفرت آديل أنفاسها ببطء ورفعت رأسها إلى لوغان فتلاقت عيونهما: شكراً لك.

- هل كنت تنتظرني حقاً؟ هل بدأ الأمر هكذا؟

- أجل.. خرجت من العمل قبل الموعد بنصف ساعة، ومع أنني كنت غير متأكدة من مجيئك وقفت أنتظرك.

- لم أرد المجيء.

أخيراً، بان على وجهه تعبير ما، مزيج من الألم والغضب، وشيء آخر.. لم تستطع فهمه..

قالت هامسة: أنا مسرورة لأنك أتيت.

نظر إلى الشارع: وأنا مسرور أيضاً.

- ليس بسببهم.. بل لأنني بحاجة إلى مكالمتك لوغان.

دنت لا إرادياً منه.. كان رأسها المرفوع يتوسل إلى عينيه بحيث وقع النور على وجهها.

- ماذا حدث لوجهك؟ أهم من فعل بك هذا؟

ابتسمت ابتسامة شاحبة:

- لا.. بل أنا من فعلت ذلك.. عدوت وراءك اليوم فوقعت عن المسرح.

فتحت له طريقاً، فهل يسير فيه؟

- سبق أن تعرضت لشيء كهذا من قبل.. كان عليَّ أن أكون حذرة.

وان صمت ثقيل:

- سأرافقك إلى البيت.. أتريدين السير أم تفضلين أن نستقل سيارة



WWW.REWITY.COM

أجرة؟

لم يكن هذا هو السؤال الذي كانت تأمله ومع ذلك خفق قلبها سنسير.

لكنه لم يتحرك عن باب الملهى:

ـ لماذا ركضت ورائي آديل؟

أغمضت عينيها وقالت بصراحة:

ـ لأقول لك إنك ارتكبت غلطة.. لقد أسأت الظن بما رأيت.. ظننت أنني وڤيكتور..

ـ هذا ما ظننته بالضبط، وقبل أن يستيقظ الولدان كما سمعت.

أرعبتها نبرة صوته:

ـ يا إلهي! أقال أحدنا هذا؟ لا عجب إذن أن تأخذ انطباعاً سيئاً.. وأفهم السبب إذ كنا نتدحرج على الأرض..

ـ وڤيكتور فوقك.

نظرت إليه بذهول.. أيشعر بالغيرة؟

ـ كان يمرنني لأستطيع الدفاع عن نفسي.. لقد استعار كتاباً عن فن الدفاع عن النفس من إيموجين.. خطيبته.

ران صمت مطبق: هكذا إذن.

لقد ارتكبت حماقة عندما انهارت أمام ڤيكتور.. وهي الآن ترفض أن تبكي مرة أخرى خاصة أمام لوغان.

قالت متلعثمة وهي ترفع ذقنها بعناد:

ـ أود الذهاب حالاً إلى المنزل.

أعطاها ذراعه فدست يدها فوق كمه، وسارا معاً في الشارع ولكنها شعرت بالألم الذي سببته الرضوض.. كان الشارع مألوفاً لديها بحيث لم تعد تنظر إلى معالمه.. ولكنها الليلة وبسبب التوتر الضاغط بينها وبين لوغان، وجدت أنها تركز على تفاصيل صغيرة. أرادت بيأس أن تبعد



تفكيرها عن الرجل القريب منها، ولكنه بعيد عنها أميالاً أميالاً رغم قربه الشديد منها.

عندما كادا يصلان تخلت آديل عن كل أمل في أي تواصل، فرفعت بصرها إليه بدهشة. كانت بشرته مشدودة بقوة على عظام وجنتيه وفمه مضموماً وشعره الأشقر مرتباً، في هذه اللحظة أرادت أن تعانقه لتسترخي بين ذراعيه ولو قليلاً.

قال بتثاقل:

ـ آديل.. كل ما أستطيع قوله هو أنني سأحاول أن أصدقك.. سأبذل جهدي، مبدئياً يبدو تفسيرك منطقياً لي.. فأنا أتذكر كتاباً كان مفتوحاً على المقعد.. وكل ما كنتما تقولانه قد يكون له تفسير بريء..

مد يده يمسك يديها وكأنه بحاجة إلى هذا التواصل.

ـ لكن فطنتي شيء وردة فعلي شيء آخر. إنه الصراع الأزلي بين المنطق والمشاعر.. هناك أسباب تدفعني إلى عدم تصديقك، وأسباب أخرى تدفعني إلى الثقة بك. أعرف أنني غير منصف بحقك لأنني لا أستطيع أن أقول لك «إنني أثق بك».

سرى من يديه إلى يديها تيار دفء أعطاها قوة وطاقة جديدتين.. الكلمات التي تفوهت بها خرجت من أعمق أعماقها:

ـ متى كنت مستعداً قلها لي.

للمرة الأولى في ذلك المساء، لاحت ابتسامة على شفتيه:

ـ أنت امرأة نادرة.. لا تطرحين أسئلة ولا تطالبين بشيء. آه! من الأفضل أن أوصلك إلى البيت فقد كان يومك مرهقاً.

ـ ألن تدخل لتقابل ڤيكتور؟ سأعدّ إبريق قهوة.

ضغط على يديها بلطف ثم تركهما: سأحب هذا.

لم يتكلما مرة أخرى حتى بدأت تفتش عن مفاتيحها في حقيبتها. لكنها في هذه المرة لم تمانع هذا الصمت..



WWW.REWITY.COM

قال لوغان بقسوة: ماذا حدث للزهور؟

- وعدني ڤيكتور بإنقاذها. أنا لا أتلقى زهوراً دائماً لذا لا يمكنني رميها.

حين دخلا إلى غرفة الجلوس المريحة المظهر، تناهت إليهما رائحة الزهور التي رتبها ڤيكتور في مزهرية قصيرة بحيث لم تعد سيقانها القصيرة مهمة. كان اللون الأحمر فيها كنغمة موسيقية أما ڤيكتور فكان متمدداً على المقعد يقرأ. ما إن رأى لوغان مع آديل حتى هبَّ واقفاً.

قالت بسرعة:

- ڤيكتور، أريد أن أعرفك إلى لوغان ردفورد. لوغان هذا ڤيكتور لاوسون.

تصافح الرجلان. قال لوغان بهدوء:

- أعتقد أنني مدين لك باعتذار بسبب ما بدر مني اليوم. ڤيكتور قمت بعمل جبَّار في إنقاذ الزهور.

- شكراً.

تردد قليلاً. قسمات وجهه الوسيم الشاب جادة بشكل غير عادي.

- أرى أنك قابلت آديل على أي حال. خشيت ألا تأتي.

قال لوغان:

- أعرف أنها كانت قلقة. أحمد الله لأنني ذهبت لأقابلها.

وصف له باختصار ما تعرضت له قبل أن يصل، فقطب ڤيكتور جبينه.

- عليك أن تعودي من الآن فصاعداً بسيارة أجرة آديل.

خلعت معطفها ومدت يدها لتأخذ معطف لوغان.

- لا أستطيع تحمل هذه النفقات.

- إذن. عليك أن تتمرني جيداً على كتاب الدفاع عن النفس.

فتش بين مجلات على الأرض وأخرج الكتاب ليعطيه إلى آديل:

- وأنا أعني ما أقول آديل. تعرفين أنني لا أستطيع مقابلتك بعد انتهاء



العمل بسبب الولدين. ويجب أن يكون عندك ما يحميك.

عبست في وجهه:

- حاضر سيدي. لماذا لا نضع إبريق القهوة على النار؟

نظر إلى لوغان: ديكتاتورية. أليست كذلك؟ على فكرة. لقد صنعت بعض البسكويت الليلة.

سألت بلهفة: «بالشوكولا؟»

- تعرفين أنه النوع الوحيد الذي أجيد إعداده.

اختفى ڤيكتور في المطبخ. فقال لوغان ببطء:

- إنه يهتم بك فعلاً وأنت تهتمين به أيضاً.

ردت بدهشة:

- أجل. نحن صديقان.

سأل لوغان: منذ متى تعرفينه؟

- منذ ستة أشهر.

- إنه على حق في قلقه عليك. دعيني أرى الكتاب.

مررت الكتاب له فأخذ يتصفحه:

- ليس كتاباً سيئاً. يكاد يكون كاملاً. هناك أشياء أخرى هنا وهناك قد أضيفها. هذه اللقطة مثلاً، ثمة طريقة ثانية للخلاص منها.

فجأة ابتسم لها ابتسامة طفولية، تخالف وجه هذا الرجل الأشقر ذا الثياب الأنيقة التي لا عيب فيها.

- هيا. دعيني أريك كيف.

ردت بدفء: «لا، لا».

- آديل. تخيبين أملي. لم أظنك ترفضين تحدياً.

تهلل وجهها: هذا يظهر كم تعرفني.

- لن يستغرق الأمر سوى دقيقة.

- أتعدني؟



WWW.REWITY.COM

- أقسم لك.

خلع كنزته، فسألت:

- ماذا عليّ أن أفعل؟

- طرحتك أرضاً لتوي..

- هل أنت واثق أنك لا تفضل أن أقع فوق الدرج؟

- .. والآن سأخنقك.

أخفضت نفسها إلى الأرض:

- يا لهذه الحياة المثيرة التي أحياها.. لكن تذكر.. لقد وقعت فعلاً عن الدرج اليوم.

شعرت به يضغطها إلى الأرض فتسارع الدم في شرايينها وحاولت التركيز على ما كان يقوله:

- الآن، حين أفعل هذا.. اضربي بظاهر يدك.. هكذا.. أترين.. ثم ارفعي ركبتيك، واستخدميهما كرافعة.. مستعدة؟

اتبعت تعليماته بحذافيرها فمضى ذلك بسرعة.. وكانت عينا لوغان تضحكان لعينيها. بدت عاجزة عن الحركة ثم شعرت فجأة بالخجل. ابتسمت له فتلاشت التسلية عن وجهه:

- آديل.. آه! يا إلهي.. آديل..

ما هي إلا لحظة حتى كان يضمها بشغف، عرفت أن هذا حتمي منذ تكلم مع ذلك «الزعيم» خارج الملهى.. ثم توقف كل تفكيرها.. كان عناقاً قوياً وكأنه أراد معرفة حقيقتها. أما هي فاستجابت له بشوق مجنون. لم تستطع أن تكبحه.

خرج ڤيكتور من المطبخ ولكنه سرعان ما ارتدّ بسرعة، ثم عاد للبرود وهو يقرقع بالفناجين عن قصد. تركها لوغان بدون تسرع، أما هي فكانت وجنتاها حمراوين أكثر من زهور الكاميليا التي في المزهرية.

قالت آديل بارتباك:



- أوه.. ڤيكتور.. هل القهوة جاهزة؟ كان لوغان يعلمني طريقة أخرى للخلاص من اللقطة التي كنت تدربني عليها.

قال بمكر:

- إنها حقاً طريقة مختلفة.. سأجربها مع إيموجين.. أتريد حليباً وسكراً، لوغان؟

وقفت آديل وراحت تنظر إلى أي مكان عدا لوغان.. جلس الثلاثة يحتسون القهوة.. فجأة تثاءب ڤيكتور مبالغاً:

- أيمكنني أن أترك لك التنظيف آديل؟ إنني بحاجة إلى النوم.

قال لوغان: «سأساعدها.. سرني التعرف إليك ڤيكتور».

فيما كان ڤيكتور يقفل باب غرفته، وقف لوغان الذي حمل الفناجين إلى المطبخ وراح يتصرف وكأنه في بيته.. وقف إلى المغسلة ويداه غارقتان بالصابون حتى المعصمين، أما آديل فوضعت ما تبقى من الكعك في البراد.

قال وكأنه أمر واقع: حين عانقتك.. هل أعجبك عناقي؟

تجمدت يداها فجأة. ردت: «أجل.. ألم تدرك هذا؟»

- لو كنت ڤيكتور، هل كنت ستتجاوبين بالطريقة ذاتها؟

أقفلت باب البراد وارتدت تنظر إليه:

- أولاً من المستحيل أن نتعانق.. بتلك الطريقة.. ثانياً لا يمكن أن أستجيب له.

- لِمَ لا؟

- يا الله لوغان.. لست أدري! لم يكن عندي أخ يوماً وأنا أعتبر ڤيكتور أخاً.. أضف إلى هذا أن هناك عوامل أخرى كثيرة.. إنه خاطب، والتوالف غير مناسب.. جميع الأسباب تمنعني من التقرب إليه بتلك الطريقة التي تقصد.

- لكن الأمر مختلف معي.



WWW.REWITY.COM

ـ آه! أجل.. أنت مختلف بكل تأكيد.

ـ لماذا؟ وكيف؟

ـ لا أستطيع الرد على هذا، لا أستطيع، لا أقدر، ولا أريد.. هل يجب أن نحلل ما حدث؟

ـ أجل.

شرعت تجفّف فنجاناً:

ـ قلت إنك لا تثق بي.. ألا يمكنك أن تثق بمشاعرك لوغان؟

ـ عندما أكون معك أصبح غير واثق من قدرتي.. سبق أن خرجت مع عدد كبير من النساء.. بينهن اللطيفة، والمثيرة والذكية. وحتى آخر واحدة منهن تركتني فلم أتأثر، ثم جئت أنت بصوتك المبحوح وبشعرك الكثيف، وبثلاثيتك: كنت ومارغو وڤيكتور، فقلبت حياتي رأساً على عقب، طالما تفاخرت بقدرتي على إبقاء مشاعري بعيداً.. أما معك فلا أستطيع أن أبقي مشاعري بعيدة.

أنعشتها صراحته التي استقبلتها بصدق مماثل.

ـ وتكرهني لهذا السبب؟

ـ أجل.. أظنني أكرهك.. أنت تثيرين في أعماقي رجل الكهف وفي الوقت ذاته تخيفينني.

ضحك ثم أردف:

ـ لو قال لي أحدهم قبل أن أغادر مونتريال إنني سأتحدث بهذا الحديث مع امرأة تعمل في نادٍ ليلي لقلت له إنه مجنون.

بدأت تضع الفناجين والأطباق في الخزانة.

قالت: أتساءل عما إذا كنت معتاداً على مشاركة مشاعرك مع أحد؟

ـ لا.. بالتأكيد لا.. أحياناً أصارح خالتي بشيء مما يجول في أعماقي لكنها الوحيدة.. ستحبينها آديل.

ليت هذه الخالة المهيبة قادرة على زعزعة مشاعر ابن أختها.



ـ أتوقع أن أحبها.

دنا منها خطوة.. كانت ياقته مفتوحة، وأكمام قميصه مرفوعة.. أراد أن تريح رأسها على كتفه..

قال: «لا تنظري إليّ هكذا آديل وإلا عجزت عن ضبط نفسي».

في كلماته مزاح ولكن في نظرة عينيه جد وصرامة.

أكمل:

ـ عودي معي إلى فندقي الآن.. ڤيكتور هنا وهو سيعتني بالتوأم.

مررت أصابعها في شعرها:

ـ لا أستطيع.. تعرف أنني لا أستطيع.

ـ تعالي معي آديل..

ـ لا أستطيع.. نحن غير متزوجين فكيف أقدم على شيء كهذا؟

رد بسرعة الأفعى السامة:

ـ سبق أن أقدمت على ذلك.

صاحت بشراسة ضارية الأرض بقدمها:

ـ لا تبدأ بهذا مجدداً! لن أطيق ذلك!

كأنما لم تتكلم إذ قال ببرود:

ـ سأغادر نيواورلينز صباح الغد..

ـ لا!

خرجت منها الكلمة غصباً عنها.. قبل قليل لم يؤثر غضبها فيه، أما صدمتها فأثرت فيه كثيراً إذ وضع يديه على كتفيها يدلك العضلات المتوترة. وقال بلطف:

ـ لم أنه كلامي.. آه..! آديل..

وضمها إليه عاقداً ذراعيه حولها، يشدها بقوة..

ـ لم أقصد أنني مسافر غداً إلى كندا.. مع أن هذا سيحدث قريباً جداً.. لا.. أنا مسافر إلى أعلى النهر لأرى مصنعين للسكر.. شرحت



WWW.REWITY.COM

لفيكتور قبل قليل أنني مستشار مالي.. ولدى هذين المصنعين متاعب عمالية وإدارية، وهما يريدان أن أساعد في حلها، لكن ذلك لن يستغرق وقتاً طويلاً، ثلاثة أو أربعة أيام ربما.. ثم أعود إلى هنا.

أراح خده على الخصلات الحمراء، وأضاف: «هل تصنعين معي معروفاً؟»

تمتمت بدون أن تفكر: «بالتأكيد».

ـ حضّري جليسة للولدين يوم الجمعة.. أنا آتٍ لاصطحابك في الصباح.. سنذهب إلى مكان ما على طول النهر وإلى مزرعة وأعدك أن أعيدك وقت العمل.

نظرت إليه بغبطة وكأنها طفلة حصلت للتو على الآيس كريم.. قالت:

ـ يوم كامل؟ حقاً؟

ـ أنت جميلة.. أجل.. يوم كامل، نقوم فيه بما نريد ونذهب إلى حيث نريد.

ـ لم أذهب قط إلى أية مزرعة قصب سكر. وسأحب هذا.. فهناك ستكون أزهار الكاميليا في أوجها.. شكراً لك لوغان، أنا.. هل أنت بخير؟

كان ينظر إليها وكأنه لم يرها من قبل. تمتم:

ـ لديك تلك القدرة على إثارة إعجابي. لم أعرف امرأة شكرتني بهذه الطريقة من قبل.

ـ إذن هي المرة الأولى، ولا أظنك تواعد الصنف الغلط من النساء يا لوغان ردفورد.

ـ لم أتواعد بالتأكيد مع امرأة مثلك.

ـ على أي حال، كما سبق أن قلت لك.. حياتي خالية من الإثارة وفي الأيام العادية لا يدعوني رجل وسيم طويل القامة إلى زيارة الريف ليوم



كامل.

حركت أنفها بفتنة:

ـ في الواقع لا أستطيع أن أتذكر متى كانت آخر مرة.

ـ أما الرجل الطويل الوسيم كما وصفتني، فسيبدأ بالتفكير في طموحات أبعد بكثير من يوم في الريف.. من الأفضل أن أذهب الآن.

تورد وجهها ورمت ذراعيها بتهور حول عنقه وعانقته:

ـ تصبح على خير لوغان.. أنا سعيدة جداً لأنك جئت لمقابلتي اليوم.

ـ تصبحين على خير عزيزتي آديل.

كان صوته مشبعاً بالعاطفة ومع ذلك شعرت بأن عقله عاد فسيطر على زمام الأمور، ولكنه أردف يقول ما نوى أن يقول بالضبط لا أكثر ولا أقل:

ـ لم أتعلق قط بامرأة كما تعلقت بك. أقسم على هذا.

أمسك بلطف ذقنها بيده ليرى كيف تسمّرت عيناها على وجهه.

أضاف: «أنا أحمق لأنني سأتركك الآن، كان عليّ أن أغض الطرف عن كل العواقب لأصل إليك.. ولكنني لن أفعل.. ولا تطلبي مني أن أشرح السبب.. لأنني لا أستطيع»

عانقها برقة وكرر:

ـ تصبحين على خير آديل الجميلة.

وصف متملك.. آديل الجميلة.. أجابت:

ـ عزيزي لوغان.. اعتني بنفسك.. أتطلع شوقاً إلى يوم الجمعة.

لم تستطع رغم معرفتها العميقة بقدراته أن تقدر مدى الجهد الذي بذله ليسيطر على نفسه، وليترك ذقنها ويخرج من المطبخ. انتظرها حتى تحضر له معطفه، وابتسم ابتسامة سريعة ثم قال: «أراك الجمعة».

وغادر المنزل.

ارتجّ الباب خلفه.. وكانت حنفية الماء في المطبخ تقطر فعادت



WWW.REWITY.COM

لتحكم إقفالها. ثم وقفت جامدة، تنظر حولها وكأنها لم تكن هناك من قبل. إنها غرفة صغيرة ضيقة، وضعت لها مع فيكتور ورق الجدران بعد ظهر يوم سبت ممطر.. وخاطت لها ستائر قطنية لتزين النافذة الوحيدة.. ولا يمكن أبداً أن تتصورها مكاناً مناسباً للرومانسية.. مع ذلك.. هنا كلمها لوغان بصدق فجعلها غير قادرة إلا على احترامه.

كان لغزاً لها! عادت إلى غرفة الجلوس لتطفىء النور ثم عادت إلى غرفتها.. هي لا تعرف عنه سوى القليل فمثلاً لا تعرف كم عمره؟ وأين ولد؟ هل والداه على قيد الحياة؟ وهل له أقارب عدا خالته التي في مونتريال والتي يحبها كثيراً؟

رغم كل هذه الأسئلة التي لا ردود لها أحست أنها أقرب إليه مما كانت قريبة يوماً من نويل.. ولم تتوهم يوماً بأنها تكن لنويل شيئاً من المشاعر، أما الآن وبعد تجربتها مع لوغان فقد أصبحت تعرف نويل بوضوح. إنه صديق، ولكنه أبداً لن يكون حبيباً.

أما لوغان فمختلف.. مجرد التفكير فيه كحبيب يدفىء وجهها، ويجعل جسمها يقشعر بنوع من المشاعر تجعل كل أعصابها ترتجف.

ثم تذكرت شيئاً آخر.. لوغان لا ينتمي إلى هذه المدينة المنبسطة على ضفتي المسيسيبي العظيم.. إنه ينتمي إلى مكان بعيد.. وقريباً يعود إلى كندا.. قد يعود بعد أيام. قال إنه مسافر في القريب العاجل.. وسيغادر هذه المدينة.. وسينسى المغنية ذات الشعر الأحمر الكثيف والتوأم اللذان يظنهما ولديها.. ضمت صدرها بذراعيها ونظرت من النافذة إلى الخارج، إلى أنوار المدينة المتلألئة.. المنبسطة على ضفاف النهر.

* * *



WWW.REWITY.COM

# ٨ ـ الجنة المستحيلة

جاءت لوسيا التي تسكن في الطابق العلوي لتكون جليسة للطفلين يوم الجمعة. . وصلت لوسيا قبل الوقت بربع ساعة وهي شابة سوداء الشعر، تحب التوأم كثيراً.

لأن آديل غير معتادة على ترك الولدين في النهار، كتبت سلسلة تعليمات مفصلة تعرفها لوسيا جيداً. . وتعرف بالتأكيد رقم هاتف الشرطة، ودائرة الطوارىء وأقرب محطة إطفاء. .

قالت: توقفي عن القلق! سأكون أنا والطفلان على ما يرام.

ذهبت آديل لتتبرج قليلاً قبل وصول لوغان. . كانت ترتدي سروالاً من الجينز الضيق وقميصاً، وبلايزر من قماش أزرق. .

وصل لوغان عندما يصل في الوقت المحدد. تمتمت آديل بخجل: «صباح الخير».

عرّفته إلى لوسيا وحاولت تجاهل صراخ مارغو: دادا. . دادا. . فسُمعتها قد تفسد أمام لوسيا التي همست لها جانبياً مع انشغال لوغان بالصغيرة:

ـ لقد حصلت على رجل حقيقي حبيبتي. . استمتعي بيومك، ولا تستعجلي العودة إلى البيت.

التقطت آديل حقيبة يدها وسألت: «جاهز؟»

تمكنت مع لوغان من الهرب دون أن يلاحظهما الولدان. . لكنها قالت



WWW.REWITY.COM

بعد جلوسها في سيارة رياضية خضراء مصقولة:

ـ لقد نجحنا! عطلة ليوم كامل.. أتمنى فعلاً أن يكون التوأم بخير.

ـ لا تقلقي عليهما.. اسمعي إنها المرة الأخيرة التي تذكرينهما اليوم.. أتسمعينني؟

ـ ومن قال إنني ديكتاتورة؟

ـ ليس أنا.. كيف حالك اليوم آديل؟

وطفقا يتحدثان في أمور عديدة، وصف لها لوغان بعض الأحداث التي جرت معه في معمل السكر في الأيام الماضية، وأنهى كلامه.

ـ بعد اليوم لن أضع السكر في قهوتي.

وروت له آديل قصة ثلاثة كنديين كانوا يحتونها في الملهى على غناء دراو.. كندا «بالفرنسية والإنكليزية»:

ـ لكنني رسبت في امتحان الفرنسية في السنة الثانية في الكلية.. فقد نلت ثلاثة وتسعين من مائة في علم الأنسجة وثلاثة وخمسين في اللغة الفرنسية.

كانا يتكلمان بصراحة وكأنهما شخصان يعرفان بعضهما بعضاً منذ زمن طويل. انتقل بهما الحديث من الجامعة إلى رياضاتهما المفضلة ثم إلى لائحة أفضل المبيعات في الكتب.. قطعا المسيسيبي على عبّارة واستندت آديل فوق الحاجز المعدني لتنظر إلى المياه الموحلة..

بعد رحلة النهر سارا على منحدر عشبي أخضر ليراقبا حركة الملاحة في النهر..

قالت آديل:

ـ ليس مهماً حقاً أن تكون المياه موحلة أو أن ترى المعامل على طول ضفتي النهر، فما زال نهر المسيسيبي.. نهر الأساطير والرومانسية..

ـ أجل.. ذهب مع الريح، وقصص أخرى.

ـ آه.. أنت حالة ميؤوس منها!



ـ وأنت شابة رومانسية بشكل لا يصدق.

ـ بكل تأكيد!

ـ وأنت إلى ذلك جميلة، خلاّبة.

غضت طرفها خجلاً، وتمتمت: شكراً لك.

ـ ألم يسبق أن قال لك أحدهم إنك جميلة.

ـ أتلقى مديحاً كثيراً في الملهى.. ولكنني أتقبله بابتسامة..

ـ لم أعن هذا.

ـ أعود فأكرر أن الذكور في لويزيانا لا يقفون في الصف أمام بابي، لوغان ردفورد.

ـ لأنهم مجانين.. هل اكتفيت من مشاهدة هذا المكان؟ ثمة مزرعة على مقربة من هنا ستعجبك.

من الطريق الرئيسية رأيا صفين مزدوجين من أشجار السنديان وهما يقودان إلى المنزل. أوقفا السيارة خلف المنزل المظلل بأشجار سنديان أعظم وأكثر رهبة حيث العصافير تزقزق. قال لوغان معلقاً:

ـ إنها عصافير كندية. تأتي جنوباً لقضاء الشتاء، ما أذكاها!

لكن آديل نظرت مسحورة إلى أزهار الكاميليا ذات الأوراق القاتمة التي تحيط بالزهور الحمراء الناعمة..

قالت متعجبة:

ـ إنه شهر كانون الثاني.. لذا لا أستطيع الاعتياد على زهور تنشط وسط الشتاء. خاصة هذه الأزهار.

ـ هناك شجرة مانيوليا.

قال لوغان وهو يراقب تعبيرات وجه آديل وهي تنظر إلى هذا المنزل المهيب:

ـ هل تريدين الدخول إليه؟

ـ لا.. بل أريد السير بين أشجار السنديان.



WWW.REWITY.COM

أمسك يدها ودارا حول المنزل ليدفع رسم الدخول إلى الحديقة..

كان صفا الأشجار متباعدين، غصونها المتشابكة ترفع الأوراق فوق الرؤوس وكأنها مظلة ترقط العشب تحتها بنور الشمس والظل.. سارا معاً بصمت ثم ارتدّ لينظرا إلى الخلف، إلى واجهة القصر الأنيقة، المحاطة بأغصان عتيقة.. دون وعي.

ـ يا له من مكان! كان يجب أن أرتدي ثوباً أبيض طويلاً وأعتمر قبعة كبيرة بيضاء.

نظرت إلى رفيقها، فتصورته مرتدياً ثياباً عسكرياً ومداساً من الجلد اللماع وعلى خصره سيف.. ثم احتدّت نظرتها، فعادت إلى حاضرها إلى القرن العشرين.. رأته ينظر إلى المنزل عاقد الحاجبين عابساً.. علمت أنه لم يسمع كلمة مما قالته فنادته ثانية.

هز رأسه، ونظر إليها: «ماذا قلتِ؟»

ـ تبدو.. متجهماً. فيم كنت تفكر؟

ابتعدت نظرته عنها:

ـ يذكرني المنزل قليلاً بالمنزل الذي ترعرعت فيه.. هذا كل شيء.

ضاقت عينا آديل.. لا تعرف عنه إلا القليل، قالت:

ـ إذن كان والدك من الأغنياء.

ـ في طفولتي اعتقدت أن منزلنا أكبر مما هو حقاً.. وهذا ما يؤمن به الأطفال عادة.

لم يكن هذا رداً فكاد سؤالها يكون فظاً وهي تسأل:

ـ أكان غنياً.. أعني والدك؟

ـ أجل.. أنا واثق من هذا. فهذا هو السبب الوحيد الذي دفع أمي للزواج به.

أضافت بحذر: «وكيف تكون واثقاً هكذا؟»

اختفت كل المشاعر من صوته:



ـ لم تحبه قط بل لم تحب قط غير نفسها.. وفي قرارة نفسها لم تحبّ أحداً من الرجال الذين عاشرتهم.

ـ أتعني أنهم كثر؟

ابتسم لها ابتسامة كريهة:

ـ أجل آديل.. هم كثر. كنت آنذاك صغيراً ولكنني لم أكن أبله.. فسرعان ما التقطت أقاويل الخدم، وأدركت أن أمي لم تكن تتزين ليلة بعد ليلة من أجل الخروج إلى العشاء فقط.. كانت جميلة وفاتنة.. وعندما كانت تخرج لمغامرة سرية لها كانت تبدو مشرقة بالإثارة.. ولم تبدُ هكذا يوماً أمام أبي.

ـ ولماذا بقيا معاً؟

ـ في البداية كانا يتشاجران.. أذكر هذا.. أبواب تصفق، أصوات مرتفعة.. أشياء ثمينة ناقصة من الخزف في اليوم التالي.. كانت أمي بارعة في تحطيم الأشياء.. لكن مع مضي الأشهر والسنوات أدرك أبي أن لا مجال إلى تغييرها.. فتوقف عن الجدال.. وأظنه فضّل البقاء على الحياة الزوجية على الطلاق.

ـ لكنك لا توافق على هذا.

للمرة الأولى منذ تطرق إلى هذا الحديث نظر إليها مباشرة:

ـ لا.. لا أوافق آديل.. فأي شيء هو أفضل من ذلك الجو المتوتر الذي كان يتحكم بذلك المنزل.. خاصة لطفل صغير.

فهمت آديل أموراً عديدة.

ـ ذكرت مرة أن أمك اعتبرتك غلطة حياتها؟ فهل قصدت أنها لم تكن راغبة في حملك؟

ـ أنا واثق أنها لم تكن راغبة في الحمل.. بعد سنوات على شجاراتهما سمعتها ترمي كلمة في وجهه.

التقط ورقة عشب وبدأ يمزقها:



WWW.REWITY.COM

ـ أنا أدعوه أبي.. ولكنني لا أستطيع أن أجزم أنه أبي.

وضعت آديل أصابعها على كم سترته، فهي بحاجة إلى ذلك التواصل.

قالت بثقة: «لوغان.. لكنك أحببته».

رد بصوت أجش: أجل.. قتلته بعلاقاتها الشائنة.. وحطمت قلبه.. رسمياً مات من إصابة بذات الرئة.. ولكن ويا لسخرية القدر ماتت بعده بثلاث سنوات بنوبة قلبية.. وهي التي لا قلب لها.

ـ ربما لم يكن في يدها حيلة. ربما عليك أن تشفق عليها.

ـ هذا ما تقوله تانت كايسي.

ـ أنت لم تسامحها.

رمى قطع العشب المكسرة إلى الأرض بعنف.

ـ في ليلة ما، وأنا في السادسة أو السابعة من عمري وقع شجار بينهما، كنت قد نزلت من غرفتي لأشرب فلم يعرفا بوجودي.. كانت أمي تذرع الغرفة جيئة وذهاباً وهي ثائرة، وكان أبي يحاول التفاهم معها بالمنطق.. سمعته يتوسل إليها أن تبقى في البيت. أذكر الطريقة القاسية التي ضحكت فيها عليه وسألته عما قد يقدمه لها كإغراء ليبقيها. ثم غادرت وبقي وحده في الغرفة.. وبدأ يبكي، آديل.. دفن رأسه بين يديه وبكى.. لم أسمع قط صوتاً مهجوراً ومستوحشاً مثله، ملؤه البؤس. أرعبني هذا.. أبي.. الذي طالما اعتبرته رجلاً صلباً قوياً يبكي كالأطفال ولم أجرؤ أن أدنو منه.. فتسللت مبتعداً وأقفلت باب غرفة نومي لئلا أسمع بكاءه.

تحولت عيناه الزرقاوان إلى الكآبة فلم يعد يرى أمامه آديل بل رجلاً رمادي الشعر محني الكتفين.

ـ كان يحبها، ولا أظنه توقف يوماً عن حبها. وهذا ما أوصله إلى.. لم أنس هذا أبداً.. تساءلت أحياناً عما إذا كان هذا ما دمر في نفسي قدرتي



على الحب وعلى الثقة بالنساء، قلباً.. وروحاً. كل النساء يشبهن أمي، مدمرات، كاذبات.. آه! ما أكثر ما كذبت عليه! وما أشدّ ما كانت تبدو بريئة.

مرر أصابعه في شعره:

ـ حسناً.. يكفي هذا.. هل نذهب.. آديل.. ما بك؟ لا تبكي..

كانت عيناها غارقتين بالدموع.. لم يتفوه بكلمة، بل ضمها إليه ووضع رأسها على كتفه يملس خصلات شعرها: لا تبكي آديل.

مسحت وجهها بكنزته، وقالت بصوت مرتجف:

ـ لا أستطيع منع نفسي.. إنها قصة رهيبة.

ـ ما كان يجب أن أخبرك بها أبداً.. لم أخبر أحداً يوماً عن أبي وبكائه تلك الليلة.. حدث ذلك منذ زمن بعيد آديل لذا يستحسن أن ننساه.

رفعت رأسها: «لكنك لم تنسه، فعندما وقع بصرك عليّ للمرة الأولى ذكرتك بأمك».

ـ أما الآن فلا تذكريني بها.. بدأت أدرك أنك مختلفة.

ـ لكنك تعتقد أن التوأم طفلاي أنا وأنني مثلها ارتكبت غلطة.

ـ لست واثقاً بما يجب أن أفكر في هذا الأمر.. أظن أن ذلك لا يهمني، لأن من الواضح أنك تحبين التوأم.

ـ لكنه يهمني أنا.

ـ تريدين أن أصدقك؟

ـ أوه.. أجل. إنها مسألة ثقة لوغان.

ـ أجل.. أعتقد هذا.

ـ ألست مستعداً لهذا حتى الآن؟

ـ الله يعرف أنني أريد أن أصدقك آديل.

ابتسمت غصباً عنها.. لقد فهمت الآن لماذا يصعب عليه أن يصدقها.. مع ذلك فعدم قدرته على تصديقها آلمها.



WWW.REWITY.COM

قالت: «هيا نكمل المسير... لماذا لا نعود إلى المنزل؟»

لو رفعت رأسها إليه لرأت الإحباط على قسماته.

سأل لوغان: «أتريدين الدخول إليه؟»

ـ لا.. لا أظن أنني أريد، إلا إذا أردت أنت ذلك.

ـ أفضل أن نتابع طريقنا صعوداً على ضفة النهر لزيارة «نوتو واي». علمت أنهم أعادوا إصلاحها وأنها تستأهل الزيارة.

ما إن وصلا إلى «نوتو واي» حتى تبين أنه على حق.. نعم لم يكن الموقع بفخامة «زقاق السنديان» الذي خلفاه وراءهما ولكن منزل المزرعة كان ضخماً، ففيه ٦٤ غرفة، و٣٦٥ مدخلاً، واحد لكل يوم في السنة..

أثناء العودة جلست آديل بهدوء فهي بحاجة إلى وقت لاستيعاب روعة ما رأته في «نوتو واي».. اتجها جنوباً نحو فندق فرنسي الطراز لتناول الغداء متأخراً.. وهي تقرأ لائحة الطعام، كانت مسرورة لشيء واحد.. زيارة نوتو واي أزالت التوتر بينها وبين لوغان، وتمكنت من الابتسام له بسعادة بارزة.

ـ إنها ضيافة حقيقية.. لا غسيل صحون بعدها.

تحدثا حتى حان الوقت للخروج مرة أخرى.. عبقت رائحة في الجوار وبدت الحياة رائعة أما الشمس فدفئها كان أقوى من قبل الظهر، عبرت آديل بكلمة واحدة عن رضاها: «إنها الجنة!».

أرجع لوغان السيارة من الموقف، ودار ليقطع الجسر.. ولم يتكلم حتى أصبحا مجدداً على اليابسة.. عندئذ وضع يده على ركبتها بخفة:

ـ آديل.. أنا مضطر للعودة إلى بلادي قريباً.

أحست بأن يداً من ثلج عصرت قلبها، فنظرت إليه صامتة لكنه كان ينظر إلى الأمام مركزاً اهتمامه على الطريق. وسمعت الكلمات التالية من بين ضباب أبيض كثيف كاد يقطع أنفاسها.

ـ تحدثت بالأمس مع مكتبي الرئيسي في تورنتو.. فالعمل هناك



WWW.REWITY.COM

يتكدس، وإن لم أعد قريباً فلن أتمكن من إنجازه.. لقد مكثت هنا مدة أطول مما كنت أنوي.

نظر إليها جانبياً.. لا شك أن البؤس على وجهها احتل مكان السعادة المشرقة.. اشتدت قبضتاه على المقود.

ـ أريد منك أن ترافقيني.

لم تسمع جيداً بالتأكيد.. قالت بغباء: «ماذا قلت؟»

ـ أريدك أن ترافقيني.

إذن لم تخطىء السمع.. بدا لها هذا صورة عن الجنة، لكن من المستحيل الوصول إليها.

ـ أنا.. لا أستطيع.. لا يمكن! تعرف هذا بمقدار ما أعرفه.

ـ أصغي إلي آديل..

ـ هناك وظيفتي، والتوأم. أوه.. وكل شيء.. تعرف أنني لا أستطيع توضيب حقائبي هكذا لأرحل.. أرجوك.. دعنا نتحدث عن شيء آخر.

قال بشراسة:

ـ لا! أنت لا تعطيني فرصة لأشرح لك. اصمتي لدقائق واصغي.. الآن أبعدي كل هذه الاعتراضات المسبقة من تفكيرك.. وأصيغي إلى لائحة الأوصاف التي وصفتني بها وصف المتسلط.

ـ والمتعجرف.

ـ هذا دون ذكر الفظ.. حسناً.. الآن اصغي إلي آديل.. قد لا أحسن الشرح.. جل ما أريد منك القيام به هو السفر شمالاً معي، سأحملك إلى التانت كايسي في مونتريال فعندئذ سأعرف أن هناك من يعتني بك وأنك لا تجهدين نفسك بالعمل حتى الموت. في النهاية ستجدين عملاً يناسب شهادتيك.. فأنت هنا تبددين علمك هباء.

ردت مغتبطة:

ـ أجل.. هذا صحيح.. لكن سوق العمل يمر بضائقة لذا لن أجد

فرصة. المشكلة أنني لا أحصل على فرصة للقراءة وسيتعطل عقلي عن العمل قبل بلوغي الثلاثين.

- لا تقلقي على هذا.. لا عيب في عقلك آديل لامبرت لكن فلنعد إلى موضوعنا.. السبب الرئيسي لمجيئي إلى هنا هو إقناعك بقبول ضيافة خالتي ومساعدتها. إنها تريد استقبالك وأعرف هذا.. وأعرف شيئاً آخر.. ستتمتع بصحبتك.. فستسر كثيراً بصحبتك وبصحبة التوأم.

نظرت آديل إلى يديها اللتين عقدتهما في حضنها.

- لا أعرف خالتك.. لم ألتق بها يوماً.. نعم كانت زميلة لأمي في المدرسة! لكن، يا لها من علاقة ضعيفة.. لا أستطيع الوصول إلى عتبة دارها ومعي طفلان عمر الواحد منهما ثمانية عشر شهراً، فكيف أتوقع أن تستقبلني وتأويني وتطعمني، وتكسوني.. أنا غير قادرة على فعل هذا لوغان.

- سيكون بقاؤك معها مؤقتاً.. ستكون فترة تمضينها عندها حتى تجدي عملاً ومكاناً تسكنين فيه بمفردك.

- وإن لم أجد عملاً؟

- نظراً لمعرفتي بك أجزم أنك ستجدين العمل المناسب.

- إن لم يكن عملاً جيداً ذا علاقة بدراستي الجامعية فالأفضل أن أبقى حيث أنا.

- قد يكون أفضل لك.. إنما ليس لي.

سألت ببرود: «لا أدري ما تعني».

- آديل، أنا قلق عليك. أرجوك لا تسيئي فهمي! أعتقد أنك ناجحة حقاً ومستقلة حالياً وأنك تقومين بعمل رائع مع التوأم.. لكن فيكتور على وشك أن يغادر المنزل هذا الصيف.. وكلما كبر الولدان كلما ازدادت نفقات تربيتهما.. وماذا إن مرضت آديل.. أو كسرت قدماً؟ فعندئذ سينهار كل ما بنيته. لهذا أريد منك أن ترافقيني إلى مونتريال ليستقر كل



شيء على أساس مادي سليم.. وظيفة مع إجازات مرضية، وعطلات، ونهايات أسبوع للراحة.. مراكز عناية نهارية للولدين وبرنامج تأمين صحي.

قالت متمتمة: «أنت تتكلم كمستشار أعمال».

- هذا عملي.

- ويبدو كل شيء بارداً.

- حقاً؟

وقبل أن تعرف ما ينوي، نظر إلى المرآة أمامه وأضاء إشارة التوقف، ومال إلى جانب الطريق وأطفأ المحرك.. أمسكها بدون مقدمات وشدها إليه ليلغي المسافة بينهما.. وبدون لطف أو رقة شد ذراعيه حولها.

كانت كتفاها وعنقها ملتوية بطريقة غير مريحة وحزام الأمان يشد على خصرها فشرعت تدفع بكفيها على صدره. أثارت قوته فيها رداً مماثلاً، وأخذت تضرب صدره بقبضتيها ناسية كتاب الدفاع عن النفس وما تعلمته منه.. حاولت ركله لكنها صدمت قدمها بذراع تغيير السرعة، فتألمت بشدة.. أخيراً تركها لوغان فرآها عن بعد إنشات منه محمرة الوجه غاضبة، وكان صدره يعلو ويهبط كمن كان يركض.

- هل هذا ملائم أكثر؟

- آه! لماذا لا تحاول خنقي في المرة القادمة؟ تعرف أنني لا أستطيع التحرر من لقطة كهذه.

بدا الإعجاب على وجهه:

- أليس هناك ما قد يبكيك؟

- لو كان هناك شيء لما أخبرته لك أبداً.

تغير مزاجه فجأة وأخذ يضحك. أسنانه بيضاء ناصعة، قسمات وجهه حية، نابضة برجولة قوية.

قال بهدوء: وكأنك على وشك أن تنفجري آديل.. فلماذا لا تبوحين



WWW.REWITY.COM

بما يجول في خاطرك لتقصيه عن تفكيرك؟

قالت حانقة: «أنت أكثر الرجال إثارة للسخط».

ـ عظيم.. ! هل تذهب الآن؟

المشكلة أنها كانت تريد أن تضحك كذلك. فقد عدتها عيناه الغارقتان في بريق من المكر والضحك..

انتظرت حتى عادا بأمان إلى الطريق فقالت: «ما هو التالي على لائحة الإقناع؟»

ـ لدي ورقة أخرى ألعبها في الواقع. في غرفتي بعض الصور التي حملتها معي وهي تظهر التانت كايسي ومنزلها في مونتريال.. ومنزلي في نوفاسكوتيا.. قد تعطيك هذه الصور مزيداً من الواقعية.. وستشعرين بأن خالتي موجودة معك فعلاً.

ـ لم أعرف أن لديك منزلاً في نوفاسكوتيا.

ـ إنه في شبه جزيرة لا تبعد كثيراً عن هالفكس قرب البحر.. معزول كثيراً.. تأتيه الغزلان من الحقول في الربيع، وتستلقي الفقمة قرب صخوره في الصيف.. وفي كل سنة تزهر الزنابق الزرقاء البرّية في المستنقع.. لذا لن أتمكن من نسيانك آديل.. وسيعجبك المكان كثيراً.. أنا واثق من هذا.

في محاولة لإعادة بعض الواقعية إلى الحديث، قالت:

ـ لوغان.. كل هذا حسن.. لكننا لم نصل إلى لب الأمور..

نظر إليها متكاسلاً: «لا!».

بإمكانه سحر الطير على الشجر.

ـ لا.. تقع مسؤولية التوأم علي.. لقد توليت تربيتهما.. وكان ذلك خياري.. لذا لا أستطيع أن أطلب من أحد أن يتولى تلك المسؤولية نيابة عني.. فهذا غير عادل وغير ملائم.

رد بلطف: «أبداً؟»



ـ أعتقد هذا.

ـ قد تلتقين رجل أحلامك.. الأمير الفائق شخصياً.. أتقصدين أنك لن تتزوجيه لأنه سيحاول حمل بعض المسؤولية؟

لكنني لن ألتقي أبداً بشخص مثلك.. مرت الفكرة بخاطرها بسرعة البرق لكنها دفنتها بسرعة.. وقالت بنفاد صبر:

ـ هذا غير ممكن الحدوث. أما خالتك فستبقى غريبة سواء أرأيت صور منزلها وصورها أم لم أرها.

ـ لكنك ستأتين لرؤية صورها؟

قالت مرتابة: «إلى غرفتك؟»

ـ آديل.. ألا تثقين بي؟

ـ لا، لست واثقة منك حتى الآن.

ـ ألعلك غير واثقة من نفسك؟

بعد هذا التحدي، لم يعد هناك مجال للتراجع عن الذهاب إلى غرفته.. لا مجال أبداً.

* * *

يقيم لوغان في الحي الفرنسي في أحد أقدم الفنادق الذي هو رغم قدمه فخم لا شائبة فيه. تطل غرفته على فناء صغير رائع الزينة نظرت آديل إليه وكأنها لم ترَ بسحره قط..

تقدم لوغان ليقف إلى جانبها، ثم مرّر لها الصور.. ما إن نظرت إلى الصورة الأولى حتى عرفت أنها ستحب التانت كايسي الصغيرة القد، الأنيقة، ذات الوجه الضحوك البعيد عن التكبر. لم يكن المنزل الكبير المرتب بدقة مفاجأة. فكرت بحزن أن التوأم سيحبان الحديقة الخلفية، ثم نظرت إلى صورة منزل مختلف فتجمدت يداها.

وقف المصور فوق تلة خلف المنزل. من تلك الزاوية بدا سقفه



WWW.REWITY.COM

القرميدي المنحدر ودوائره الخشبية التي غيّر الطقس معالمها والتي تختلط بمحيطها لتحمي نفسها.

بدا المنزل وكأنه جزء لا يتجزأ من الصخور الرمادية التي حولها ومن الأمواج الزرقاء المرتفعة، ومن سحب الضباب التي ما تزال متعلقة بأقرب جزيرة في الخليج.. أسر المنزل لبّها وكان شعورها هذا مسطوراً على وجهها.

ـ هل أعجبك؟ أسكن هناك متى استطعت ولكنه وقت غير كاف.

همست وكأنها تحدّث نفسها:

ـ لو كان لي لما غادرته أبداً.

ـ إذا وجدت أن التانت كايسي لا تلائمك كثيراً لأنها متسلطة أحياناً فاحملي التوأم.. وكما سبق أن قلت لك أنا لا أذهب إليه إلا نادراً، لكنني أستخدم زوجين يقيمان فيه سيعتنيان بك عناية كبيرة.

لم تستطع إخفاء الألم في صوتها:

ـ كفى لوغان! يعرف كلانا أن شيئاً من هذا لن يحدث.

وأعادت الصور إليه.

أخذها منها ووضعها على أقرب طاولة، ثم دس ذراعيه ببطء حولها وطفق يدلك عضلات كتفيها المتوترة.

ـ يجب أن تقنعيني بالتخلي عن الفكرة آديل.

لكن عضلاتها لم تسترخ.. بل ازدادت توتراً فهي تعرف مدى ضعفها.

ـ لا أعرف كيف أقنعك.

ـ اعترفي بالحقيقة.. الآن.. ألا ترغبين في مرافقتي؟

ـ ليس ما أريده هو المهم.. دعني لوغان.

ـ سأدعك حين أكون مستعداً.

أحست بقسوته التي لم يحاول أن يخفيها، وبدأ الخوف يسري في



أوصالها. قال بهدوء:

ـ لا تخافي آديل.. تعرفين أنني لن أقوم بما يخالف إرادتك.

ـ كما سبق أن قلت لي مرة.. هناك إرادة، وهناك مشاعر.

ما إن قالت هذا حتى ندمت.. فقد عرفت أنه سيفسر الكلمات بشكلها الصحيح.

تمتم: إذن.. عقلك يدفعك إلى الهرب.. وقلبك يريدك أن تبقي.. أليس كذلك آديل؟ لا داعي للإنكار.

تلاشت المسافة بينهما ولم يعد للكلمات أي معنى، وكأن أحداً منهما لم يقلها.. وعرفت آديل أنها لن تستطيع مقاومته أكثر من هذا.. فجأة هجرها المنطق السليم والتعقل، والتحفظ. ودونما إنذار سابق أصبحت مطواعة بين ذراعيه..

كانت أكثر من صدمة حين تراجع فجأة مبعداً نفسه مع أنه ما يزال يمسك خصرها..

همست: «لوغان؟»

ـ يجب أن تعودي معي آديل.. يجب هذا! لا يمكن أن أتركك هنا، أن أتركك تخرجين من حياتي، كأننا لم نلتق.

ارتجفت وكأن أجنحة باردة لامست بشرتها، وضمها إليه فحركت أنفاسه شعرها:

ـ الله يعلم ما هو شعوري.

ردت بصوت ضعيف:

ـ هذا صحيح.

ـ آديل.. هل سبق أن أحسست بمثل هذا؟ بمثل هذا الشعور الجارف الغريب؟

بينهما شبح يتراقص.. شبح رجل لا وجود له.. حب آديل الخيالي.. الأب المفترض للتوأم.. وكان بمقدورها الدفاع عن قضيتها



WWW.REWITY.COM

مرة أخرى.. لكنها قالت: «أبداً».

خلت الكلمة الصغيرة من العاطفة لأنها الحقيقة.

ـ هل تعودين معي إلى مونتريال آديل؟ ثقي بي وابدئي حياتك مجدداً في بلد جديد.. أريد أن أراك دائماً.

لم يقل لها إنه يحبها أو إنه يريد أن يتزوجها.. لكن هذا لم يزعجها. فقد شعرت أنه تغير كثيراً من الرجل الذي كان يحدق فيها بقرف مرير في الملهى المكتظ الغارق بدخان السجائر إلى هذا الرجل الذي يكاد يرجوها لتعود معه.

وضعت خدها على صدره، كيف ستتحمل رحيله أو عدم رؤيته مرة أخرى؟

مع أنها تعلم أن هذا أمر خطير سمحت لنفسها بالتفكير في الموافقة على ما قال.. والانتقال إلى مونتريال مع الولدين، وإعادة تأسيس حياتها، ومتابعة رؤيته. طربت مشاعرها لهذه الفكرة. ستترك عملها هنا، ستترك السهر والتعب والإرهاق وستعيش حيث لا قلق أو خوف لأن ڤيكتور راحل..

قالت هامسة وكأنما لنفسها: «إنها نعمة من الله..».

ـ هل ستفعلين ما طلبته؟

توترت بين ذراعيه، وسألت:

ـ ومن سيدفع نفقات هذا كله؟ لدي بعض المدخرات التي أدخرها للطوارىء ولكنها غير كافية لدفع أجرة السفر والدفع لخالتك مقابل المأوى والمأكل.

ـ سأدفع أنا.. على أن تدفعي لي المبلغ الذي أنفقته عليك عندما تجدين عملاً.

احتجت: «إنما لم يسبق أن أخذت مالاً من أحد».

ـ إذن حان الوقت للبدء بذلك.. الاستغلال أمر رائع، ولقد برهنت



بكل تأكيد عن قدرتك. فحاذري ألا يصبح الأمر عناداً فارغاً.

ردت بحرارة: «شكراً لك كثيراً..!».

ثم بدأت تضحك فمرر أصابعه على عنقها.

ـ توقف! أكره الدغدغة.

ـ ربما أريد أن أدغدغك حتى تستسلمي.

ـ إذن أنت سادي في أعماق قلبك.. كان يجب أن أعرف هذا.

ـ والآن.. من الأفضل لنا أن نخرج من الغرفة قبل أن تغويني..

ردت ساخطة: «أنا.. أغويك؟»

ماتت الابتسامة على وجهها.. ولم تعد تستطيع التفكير في ما تقوله..

قال لها بعينين جادتين:

ـ أريد أن تفهمي شيئاً.. أنا غير معتاد على دعوة نساء شابات مع أو بدون توأم، للإقامة عند خالتي.. في الواقع لم يسبق أن قمت بشيء كهذا.

ـ أصدقك.

ابتعد عنها عامداً:

ـ جيد.. أبلغيني بقرارك غداً. لن نجد صعوبة في الحجز إلى الشمال حيث البرد والزمهرير فكل من يملك ذرة عقل سيسافر في الاتجاه المضاد طلباً للدفء.

استعدت آديل للمغادرة فالموضوع أقفل.. لقد بذل جهده لإقناعها.. وقضيته الآن في فترة استراحة.. بطريقة ما أرادت منه أن ينوب عنها باتخاذ القرار ليحملها على متن أول طائرة مسافرة نحو الشمال.. إنها فكرة مذهلة مثيرة للدوار، حملتها معها ما تبقى من يومها وجزءاً من ليلها..



WWW.REWITY.COM

وحملت معها فكرة أخرى كذلك.. فكرة ملأت قلبها بسعادة خفية «سأراه غداً مرة أخرى...».

* * *



WWW.REWITY.COM

# ٩ ـ وداعاً آديل!

كان اليوم التالي يوم سبت.. عندما غادر ڤيكتور البيت متوجهاً إلى منزل خطيبته كان على وجهه ابتسامة كبيرة. طلب من آديل تبادل دوام العمل مع فتاة أخرى، فكان أن عملت بناء على ذلك من الثانية حتى السادسة مساء واتفقت مع لوغان على الذهاب في الخامسة لتتمكن لوسيا من المغادرة.. وبعد ذلك اتفقت معه على قضاء الأمسية معاً.. وهي في طريق العودة إلى البيت تساءلت عما ستقوله له. عرفت ما تريده، إنها تريد السفر معه.. لكن في مقابل هذا الحل البسيط كانت أصوات كثيرة معارضة تتصارع في نفسها وتطلق أسئلة لا ردود لها في وجهها.. من سيدفع ثمن بطاقات السفر؟ ماذا عن التانت كايسي؟ هل ستحبها؟ وماذا ستفعل إن لم تجد عملاً؟ ماذا إن اعتبرها لوغان حملاً ثقيلاً أو تمنى أن تعود إلى أورلينز؟ ماذا سيحدث عندئذ؟ تمنى خبرت الاستقلالية لن تستطيع العودة إليها بسهولة.

ارتقت الدرج ذا السجّادة المهترئة.. فكرت ما أروع ألا تراها مجدداً.. وفكرت في حديقة التانت كايسي فتصورت مارغو وكنت يشبان رجل الثلج في الشتاء، وقوالب حلوى صيفاً.. في مونتريال سيجد الولدان أسباب الراحة التي لن يجداها أبداً هنا. يا الله.. كيف ستتخذ القرار؟

عندما دخلت وجدت لوغان متمدداً على السجادة القديمة ومارغو



WWW.REWITY.COM

مستلقية في دائرة ذراعه.. أما اليد الأخرى فكانت مشغولة بمكعبات بلاستيكية صنع منها برجاً هرمياً تحفة في البراعة الهندسية.. كان كذلك مذهولاً بحيث لم ينظر إليها وهي تدخل.. نظر لوغان إليها بسرعة مبتسماً:

ـ أردت البدء في تحضير العشاء، ولكنني التهيت.. هل تقدرين على إتمام أي شيء مع هذين العفريتين؟

ردت بصعوبة كبيرة: سأستحم، ثم نفكر في العشاء.

محا رذاذ الماء الساخن شخصية المغنية المتبرجة.. ارتدت ثوباً دونيم واسعة وتيشيرت بلون البنفسج وعادت إلى غرفة الجلوس.

كان البرج قد تهاوى.. وكان كنت يحاول وضع المربعات المبعثرة في قطاره الخشبي، أما مارغو فكانت تقفز صعوداً ونزولاً على لوغان المستلقي أرضاً. عندما شاهد آديل أعاد الطفلة بحزم إلى الأرض ووقف بدت باقة قميصه متجعدة وشعره أشعث، وخطوط الضحك تحيط عينيه.

همت آديل بالقول له: سأسافر معك.. ولكن قبل أن تقول كلمة لف ذراعيه حولها وعانقها باهتمام كبير.. ثم أبعدها عنه لتطوف عيناه في خطوط قدها النحيل، ثم قال وفي عمق عينيه شيطانان شريران يتراقصان.

ـ مرحباً آديل! تبدين في غاية الروعة.

تورد وجهها بحمرة الخجل.

في هذا الوقت حاولت مارغو تسلق بنطلونه، فانحنى يحملها ثم سأل:

ـ ماذا عن العشاء؟ هل قررت ما ستأكل؟

أنقذها إلهام مفاجيء من الورطة:

ـ لا.. لم أفكر في الأمر.. سنتناول اللحمة المشوية.. لوغان، ماذا عن تصاريح العمل؟ ليس لدي فكرة عن القوانين في كندا.. أبمقدوري الدخول إلى البلاد هكذا لأقيم فيها الوقت الذي أريد؟



ـ لا فكرة عندي.. لم أفكر في هذا.. سأتصل بالقنصلية صباح الاثنين.. أما الحجز فنتركه حتى الثلاثاء. لا أستطيع أن أتأخر أكثر من هذا.

ـ ولن أذهب إن لم يكن بمقدوري إيجاد عمل.. فأخشى أن أصبح عالة على خالتك.

كرر لوغان بشيء من التوتر:

ـ سأتأكد من هذا حالما أقدر.. أشعر أنك تبحثين عن عذر آديل.

لقد أصاب..

ـ هل تحب البطاطا المهروسة؟

بذلت آديل جهدها لتبعد اهتمامه غير أن نظره كان ثابتاً.

ـ لا تلهيني آديل.

ارتفع ذقنها بتحد ورفعت صوتها قائلة:

ـ أريد السفر معك.. إنما يجب أن أتأكد من أنني أقوم بما هو صواب لنا جميعاً. بطاطا مهروسة أم مقلية؟

ـ مهروسة.

ضمته مارغو بشدة، وبدا واعياً لحركتها المفاجئة فأبعد أصابعها الصغيرة المتعلقة بعنقه، وتمتم:

ـ يا للنساء!

وأغرقا معاً بالضحك:

ـ تعالي.. سأساعدك.

قالت بعفوية:

ـ ما أروع أن أكون معك، فدائماً ينتهي الأمر بنا للضحك.. كان والداي دائماً يتعاملان مع كافة الأمور بجد وتفكر.. فكان علينا حتى في العطلات أن نتصرف باتزان.

وهذا ما دفع أختها جولي للزواج بفونز المرح الساحر.. لأنه كان



WWW.REWITY.COM

مختلفاً عن والدهما الرقيق المستقيم.. تنهدت عن غير وعي منها.. فقال لوغان بلطف:

- قرش لقاء أفكارك.

رفعت ذقنها مرة أخرى بتحدٍ:

- أفكر في أختي.. أم التوأم.

ارتجفت رموشه.. تأكدت أنه سيقبل التحدي فاشتعلت شرارة أمل في قلبها.

قال ببرود: أين تحتفظين بالبطاطا؟

ماتت رغبتها في إحضار صور أختها من غرفة النوم قبل أن تولد.

كانت الاستعدادات للعشاء على قدم وساق، فعبق جو المطبخ بالرائحة الشهية وتصاعد قرع حاد عنيف إلى باب الشقة. راحت آديل تضع الصحون والأواني على المائدة في غرفة الطعام أما لوغان فكان يصنع السلطة في المطبخ.. وضعت الأدوات من يدها واتجهت الى الباب.. علت تقطيبة حيرة وجهها. لقد دفعت للوسيا أجرة جلوسها مع الأولاد اليوم.. وشريك ڤيكتور في الاسكواش يعرف أنه غير موجود أيام السبت.. فمن الطارق يا ترى؟.. أرخت الرتاج عن الباب وفتحته.

- نويل!

هذا كل ما تلفظت به قبل أن يشدها من خصرها، ويدور بها مراراً ومراراً وهو يضحك بصوت مرتفع.. ثم تركها ليقول بغرور كبير:

- حبيبتي! كنت أترقب لقاءنا طوال النهار. همم! رائحة الطعام لذيذة.

تسمرت جسداً وروحاً وشعرت به يحاول معانقتها وكأن ما يحدث يحدث لامرأة أخرى تبعد عدة خطوات عنها.. ثم وضع الباب يغلقه خلفه، وقال:

- في هذه المرة لن أقبل الرفض رداً حبيبتي! ستتزوجينني. لا مجال



للخداع ولا عذر.. أنت تبعدينني عنك منذ ثلاث سنوات.. لكنني لن أحمل المزيد.. أضيفي إلى هذا أن زواجنا هو خير حل للتوأم اللذين اعتمدا عليك بما فيه الكفاية.

لأن كلماته ترداد لآخر كلمات لوغان شدت رداً منها:

- نويل.. ماذا بحق الله..

قاطعها بمرح: لقد علقت أبحاثي بسبب بونيستر العجوز الذكرينه؟.. لقد نسي طلب الأجزاء التي أحتاج إليها للمشروع.. نسي! عندئذ بدأت أفكر فيك ووجدت أنك راوغتني بما فيه الكفاية لإرضاء زمتك ورجعية تفكيرك. ستعودين معي.. على فكرة إنه قميص فاضح للبلاً.

ابتلعت اندفاعاً هستيريا للضحك، ونظرت إلى وجهه الذكي الوسيم:

- لا يمكنك هذا.

- آه بل يمكنني.. على أي حال.. أعرض عليك عرضاً مغرياً.. لا للهري مثل هذا الوجوم حبيبتي. تعرفين أنني أحبك منذ سنوات وأنني طلبت منك الزواج مراراً وتكراراً.. ليس بسبب التوأم فقط.. وجدت لك عملاً، تستطيعين البدء فيه هذا الصيف.. لكن العمل في دائرة بونيستر.. ستعودين على الأقل إلى حيث تنتمين قبل أن تنسي كل ما تعلمته.. إطعام الأولاد والنوادي الليلية أمور لا بأس بها.. ولكنك صاحبة عقل آديل.

قالت بحدة:

- نويل ستانفورد.. اقتحمت المكان وكأنك تملكه.. ولم تزعج نفسك بإبلاغي بقدومك ثم تتوقع مني أن أرتمي بين ذراعيك مثل.. مثل..

قاطعها ليسرق منها عناقاً آخر:

- مثل ثمرة ناضجة. يا حبيبتي أمهلتك وقتاً طويلاً حتى تنضجي. بإمكان التوأم حضور زفافنا، فسيعجبهما هذا.



WWW.REWITY.COM

ـ أما أمك فلن يعجبها ذلك أبداً.

رد متثاقلاً:

ـ إنهما حفيدان جاهزان. ستغتبط.. هيا الآن، يا حلوتي، لا تكوني صعبة المراس.. فكري في المال الذي ستحصلين عليه متى تزوجنا.

لفتت حركة ما انتباهه، فتصلب.. وفقدت عيناه الزرقاوان مرحهما.. وأصبحتا حادتين وقاسيتين.

سأل بصوت فظ: «من أنت بحق الله..؟»

بدت الصدمة واضحة على لوغان أيضاً.. وهذا ما عطَّل نهائياً عقلها المتعب.. ارتدَّ رأسها وهي تجذب بلا جدوى نفسها من بين ذراعي نويل.. وسرعان ما أدركت أن لوغان سمع كل كلمة قالها نويل فشحب وجهها.

كان لوغان واقفاً بالباب الفاصل ما بين المطبخ وغرفة الجلوس.. بدا مجرماً يتطاير من عينيه الغضب.. نظرت إلى يديه فوجدته ما يزال ممسكاً بالسكين الحادة التي كان يقطع الخضار فيها، وبدا غاضباً غضباً شديداً يكاد يدفعه لاستخدام هذه السكين لغرض آخر.. لم يكن ينظر إلى آديل بدا غير واع لما حوله، قال ساخراً بصوت حاد كالسكين:

ـ أعرف جيداً من أنت...

قال نويل برقة: أنرني.

نظر لوغان إلى شعره البراق:

ـ أنت والد التوأم.. قلت إنك تحب آديل منذ سنوات.. ومن المؤسف ألا تتزوجها منذ سنتين.. فضلت تركها وحيدة تحارب الحياة وتعاني وتعاني، أما أنت فلا يبدو أنك عانيت أية معاناة.

يجب أن توقف هذا الحديث المجنون.. فوضعت يديها على أذنيها وصاحت:

ـ لوغان.. كفى! نويل، أخبره الحقيقة.



قال نويل بصوت غريب:

ـ أظنه يقوم بعمل رائع.. مع أنه يفهم الأمور بشكل معكوس.. أردت أن أتزوجك منذ سنتين لكنك رفضت.. أليس كذلك حبيبتي؟ اللعنة على نزعة الاستقلالية في نيوانغلند.

خاطب لوغان مباشرة:

ـ أعتقد أن اهتمامك بآديل أكثر من عادي؟ إنه أمر مؤسف.. ولكن لي الأفضلية كما ترى. على فكرة آديل.. عرفيني إليه.. دماثة الخلق أولاً حبيبتي.

أخيراً وجدت لسانها فقالت بصوت مخنوق:

ـ نويل.. إن لم تقل للوغان الحقيقة فأقسم ألا أكلمك ثانية.. هل تسمعني؟ كيف تقول شيئاً كهذا؟

ـ تحاولين خداعه آديل.. أهكذا الأمر؟ يا لمكرك!

صاح لوغان باحتقار: «اخرسي آديل.. انتهت اللعبة».

همست بوجه شاحب كالأموات:

ـ أتصدقه لوغان؟ إنه ليس والدهما إنهما ولدا شقيقتي..

ارتدت بإحباط ملؤه العذاب إلى نويل:

ـ نويل.. تعرف جولي وفونزي.. أخبره.

لكن نويل يحقق دائماً ما يصبو إليه، وهو يريد آديل.. قال بعينين باردتين كبحر الشتاء:

ـ ما دمت مهتمة به إلى هذا الحد حبيبتي فلماذا لم تخبريه الحقيقة منذ البداية.. فمن غير المنصف أن توهميه أنني رفضت الزواج بك.

أغمضت آديل عينيها لحظات.. إنه كابوس.

همست بصوت ضعيف: «إنه يكذب».

رفعت بصرها إلى لوغان وحاولت ألا تتأثر بالاحتقار الظاهر على وجهه. كررت وكأنها إنسان آلي: «إنه يكذب».



WWW.REWITY.COM

قال لوغان: «السخرية في الأمر أنني كدت أصدقك وأثق بك يا لغبائي! بدأت أصدق أنني التقيت بامرأة أستطيع أن أحبها إلى آخر العمر. المرأة التي ستكون أم أولادي.. وحافظة روحي..»

ارتجف جسمه وكأنه استيقظ من غشوة، فوجد نفسه على شفير هاوية، خطوة واحدة تبعده عن الدمار.

ـ أحمد الله لأنني اكتشفت غلطتي الآن.

غارت هي في الظلام أكثر فأكثر ولم تعد قادرة على التوقف عن الصراخ، حاولت آديل للمرة الأخيرة أن ترجو نويل..

ـ نويل.. أرجوك.. إن أحببتني يوماً فأخبره أنك لست والد التوأم.

كرر كلامها بطاعة: لست والد التوأم.

قال لوغان بفظاظة:

ـ اكتفيت من هذا كله.. تابعا لعبتكما بعد رحيلي.

ثم راح يبحث كالأعمى عن معطفه فلما حاول أخذه تبين له أنه ما زال يمسك سكين المطبخ..

بدا أن صوت آديل علق في حنجرتها: إلى أين تذهب؟

ـ إلى موطني.. سأبلغ خالتي اعتذارك وتحياتك.. لقد علمتني علاقتي بك أموراً كثيراً بلا ريب.

ـ لا يمكنك الذهاب! لا يمكنك تركي هكذا!

ـ سيعتني بك صديقك هذا!

تمسكت بكم معطفه ولكنه انتزعه من يدها وكأنما لمستها كريهة.

ـ لوغان.. لا يمكنك الذهاب.. يجب ألا تذهب.

حسبته لوهلة سيضع يديه حول عنقها ليتنزع منها الحياة.

سمعته يقول: «وداعاً آديل» وصفق الباب وراءه.

***

في وقت آخر بعدما غادر الشقة، هرعت إلى الخارج سعياً إليه ولكنها



WWW.REWITY.COM

عرفت في أعماقها أن لا معنى لخروجها لأنه سينفضها عنه كدمية كريهة..

وسيصم أذنيه عن كل توسلاتها. مدت يديها، ثم تركتهما تسقطان إلى جنبيها وأخذت تقول لنفسها لا لنويل الذي نسيت وجوده مؤقتاً:

ـ لقد رحل.

ثم نظرت إلى الغرفة نظرة عمياء.

كان نويل يراقبها:

ـ أنت تحبين هذا الرجل.. كائناً من يكون.

ـ اسمه لوغان ردفورد، من تورنتو.. لا.. لا أحبه.. فلا تكن سخيفاً.

ـ بل تحبينه.. تبدين وكأنك خسرت للتو حياتك.

لامست كلماته الساخرة وتراً عميقاً في كيانها، ففي فترة وجيزة استطاع لوغان أن يخترق أعمق أعماقها، وها هو الآن يرحل.. يرحل بعيداً عنها لأنه يظنها شبيهة بأمه..

قالت: «لن أسامحك أبداً نويل.. تعمدت خداعه ليؤمن أنك والد كنت ومارغو».

ضحك ضحكة مختصرة:

ـ ليته يعرف كم يستحيل هذا.. هو لا يعرف سمعتك الطيبة في الجامعة.. آديل التي لا تمس، الفتاة التي اهتمامها بالجنس الآخر محصور بين دفتي كتاب علم الحيوان.

رغم ألمها الشديد راحت تتكلم كلمات لا معنى لها.

ـ هذا ما جذبك إليّ.. كنت تقريباً المرأة الوحيدة التي رفضتك.

ـ أنت واحدة من قلة قليلة من النساء.

ـ أنت لا تحبني.. ولم تحبني قط.. لكنني «الشيء» الأول الذي لم تصل إليه.

أمسك ذراعها فإذا عيناه التركوازيتان غير مرحتين أبداً.

ـ اسودّت الدنيا في وجهي حين خرج هذا الرجل من المطبخ وكأنه يملك المكان.

ـ هذا ليس حباً بل نزعة تملك.

حاول نويل جهده ليسيطر على غضبه:

ـ دعينا لا نتشاجر آديل. أنا جاد بهذا.. لو تزوجنا، لتمكنت من إيجاد من يعتني بالطفلين ولتمكنت من العودة إلى الجامعة لتطوير مستقبلك العلمي... أضيفي إلى هذا أنني أحبك..

ولأن غدره الأخير ما يزال حياً في ذاكرتها حاولت جاهدة قبل أن ترد عليه، أن تتذكر السنوات التي عرفته فيها.. ثم جمعت كل وقارها وقالت بهدوء:

ـ نويل.. أنا لا أحبك.. ولم أحبك يوماً، ولن أحبك.. لا أقدر أن أتزوجك.

ـ إذن قطعت هذه المسافة كلها من أجل لا شيء؟

ـ لم أطلب منك المجيء.

ـ أنت حمقاء آديل.. أراك تدفنين نفسك حيّة هنا.. تضيعين كل مواهبك وقدراتك.. لكن ما دمت عازمة على جعل نفسك شهيدة في سبيل الأمومة فلن أستطيع القيام بشيء آخر لك.

كبت رداً غاضباً:

ـ إنها حياتي وسأعيشها كما أشاء.

ـ هكذا إذن.. أخبريني شيئاً قبل أن أخرج.. لماذا يعتقد لوغان ردفورد هذا أنني والد التوأم؟ ألم تخبريه قصة جولي وفونزي؟

لم تكن لتتحمل تفسيراً طويلاً.. ولا تريد أصلاً أن تتكلم عن لوغان أمام نويل.. فقالت بجفاء:

ـ إنه أمر لا يعنيك.

ـ إذن يجب أن أهتم بشؤوني الخاصة.



ـ يؤسفني أنك لم تفعل ذلك قبل قليل.

ـ سأكرر عليك أقوالاً مشهورة: كل شيء مباح في الحب والحرب.. وليكسب الأفضل.

ـ لا.. لن يكسب أحد في مثل هذه الحالة.. فكلنا خاسرون نويل.. هلا غادرت شقتي نويل؟ على التوأم أن ينام.. وعليّ أن أتناول الطعام.

نعم إنه العذر الذي تذرعت به ولكنها اكتشفت أنها غير قادرة على البقاء معه في غرفة واحدة.

قال ببرود: «إنها فرصتك الأخيرة آديل لأنني لن أعود إلى هنا مرة أخرى».

ـ يا إلهي! كفى نويل.

ـ عودي معي، أو على الأقل اقبلي الوظيفة.

لأراك دائماً؟ ولتذكرني بما فعلته في حياتي؟

ـ هذا مستحيل نويل.

ـ حسناً.. لن أراك بعد الآن آديل.

سأعيش.. اخرج من هنا فقط قبل أن أبدأ الصراخ والعويل ورمي الأشياء عليك.. بما فيها كتب علم الأحياء..

ـ أنا آسفة لأننا سنفترق على خلاف.. لكنني حين أهدأ قد أرسل إليك رسالة.

ـ أريد أن أعرف فقط ما الذي يملكه ولا أملكه أنا؟

كانت أظافرها محفورة في كفيها وكان صمتها أبلغ من أي كلام:

ـ حسناً.. حسناً.. انسي سؤالي هذا..

لوح في الهواء مودعاً وقال مبتسماً:

ـ أعدك إن راسلتني أن أردّ عليك.

وخرج بطريقة تليق بوريث ثروة ستانفورد.

كان التوأم يتململان.. فسارعت تجهزهما للنوم.. شرعت



WWW.REWITY.COM

بتغسيلهما وبإلباسهما ثياب النوم، وتمكنت حتى من غناء بعض الألحان التي تحثهما على النوم.. ما إن استقرا في سريريهما حتى دخلت إلى المطبخ.. كان اللحم قد أصبح قاسياً جافاً والسلطة نصف جاهزة. قال لها نويل: «أنت تحبين الرجل» ولكنها لا تحبه.. فهل تحبه؟

عادت إلى غرفة الجلوس، حيث تصفحت بنفاد صبر دفتر الهاتف حتى وجدت رقم فندق لوغان.

ـ السيد لوغان ردفورد أرجوك.. الغرفة ٧٣١.

تمسكت بالسماعة وكأنها سبيل النجاة.

ـ آسف سيدتي، غادر السيد ردفورد الفندق منذ قليل.

كررت ببلاهة: «غادر الفندق؟ تعني أنه سافر؟»

ـ هذا صحيح سيدتي.. أعتقد أنه طلب سيارة أجرة إلى المطار.. كان على عجلة.

ردت بضعف: فهمت.. شكراً لك.

ووضعت السماعة من يدها.. ودفنت وجهها بين يديها وأجهشت بالبكاء.

* * *



WWW.REWITY.COM

## ١٠ ـ اليأس أفضل صديق

مرت الأيام يوماً إثر يوم. ولكن الشمس لم تتوقف عن الشروق بسبب رحيل لوغان.. ولم يتوقف الولدان عن الاستمتاع بفضولهما ولم يمتنع الملهى عن الاكتظاظ بالناس بكلمات أخرى، استمرت الحياة في طريقها. لكن آديل كرهت هذا كله، فكيف للشمس أن تتراقص وتشع على النهر الفضي فيما هي ضائعة، تعسة؟ وكيف لمارغو وكنت أن يضحكا فيما لا تطيق نفسها؟

سرعان ما استنتجت أن نويل، وكما حصل دائماً خلال عملهما الأكاديمي معاً، على حق. لقد اتهمها بحب لوغان، وها هي الآن وبعد فوات الأوان.. عرفت أنها تحبه.

لم تنسَ لوغان إلا وهي نائمة.. ولكن حتى في منامها كانت تحلم به ثم تستيقظ فتتقلب وتتلوى، وتنام مجدداً لتحلم به. وعندما تصحو يبقى معها دوماً.. حسبت لمرتين أنها رأته في الملهى، وفي كل مرة كان قلبها والبيانو يتوقفان حتى تدرك أنه رجل آخر طويل أشقر الشعر.. كانت تتذكر بشوق اليوم الذي قضياه معاً على طريق النهر.. وتتذكر كيف تركها بسبب خداع نويل ونقصان ثقته بها.

لم تسمع شيئاً منه.. ولم تتوقع أن تسمع، ولم تكن تعرف اسم شركته في تورنتو ولا عنوان المنزل الجميل القديم البعيد على شواطىء



WWW.REWITY.COM

نوڤاسكوتيا. نعم هي تعرف اسم التانت كايسي الكامل لكن ذلك لن يفيدها فكيف لها أن تتصل بها بعد رحيل لوغان؟

يوم الأحد، شرحت الموقف كله باختصار لڤيكتور ورجته ألا يذكر اسم لوغان في البيت فهذه صفحة انتهت في حياتها. ونفّذ ما طلبته فامتنع عن ذكره.. ولأنه سعيد راح يهتم بها ولكن اهتمامه كله لم يفدها.. وبدأت تفقد وزنها، وظهرت الظلال تحت عينيها.. وكان حولها جو من الانهزام أظهر بأدل من الكلمات أن عالمها كله تدمر.

الآن، بعد ثمانية أشهر من حمل مسؤولية الطفلين، بدا أن طاقتها وقدرتها على التحمل بدأت تنضب ووجدت أنها تبكي أختها المتوفاة بدموع بطيئة مؤلمة كان يجب أن تذرفها منذ زمن طويل.

بسبب رحيل لوغان وبسبب حزنها على أختها، كان ما أصابها أمراً متوقعاً على الأرجح.. كانت عائدة من عملها في وقت متأخر من الليل تحت المطر المنهمر، فابتل معطفها وشعرها ووصل البلل إلى عظامها.. فكان أن استيقظت صباح اليوم التالي وهي تسعل سعالاً حاداً.

قال لها ڤيكتور:

ـ ابقي في البيت آديل.. واستريحي! أسمعت؟

ولكن صعب عليها طلب الراحة وصورة الرجل العريض المنكبين الأزرق العينين تلاحقها بلا انقطاع.. راح الضيق يتجمع في صدرها، وأبقاها السعال مستيقظة طوال الليل وراح يطعنها بسكاكين حادة من الألم.. ثم جاء النهار ولكنها لم تجد القوة أو الرغبة للنهوض من السرير.. استدعى ڤيكتور الذي ارتبك الطبيب الذي وعد أن يزورها وقت الظهر ثم استدعى لوسيا منادياً لتجالس الولدين.

بدا الطبيب غارقاً في معاينتها.. تفحص حنجرتها وسجل بضع ملاحظات ثم خرج إلى غرفة الجلوس يستدعي سيارة إسعاف.. أما لوسيا التي أدهشها كل ما يجري، فقد وضبت بضعة ملابس في حقيبة صغيرة



وقالت لآديل:

ـ يجب أن تذهبي إلى المستشفى.. يقول الطبيب إنه وصل في الوقت المناسب.. فقد ينقلب الأمر ويتحول إلى التهاب رئوي.

توقفت عن الحديث قليلاً ثم أردفت:

ـ قد يزورك الرجل الذي كنت تتواعدين معه.

لم يكن للألم الذي أصاب قلب آديل علاقة بالالتهاب الرئوي. قالت بصوت منخفض:

ـ عاد إلى بلاده.. لا أستطيع الذهاب إلى المستشفى لوسيا.. لن أقدر على تحمل نفقاتها.. ومن سيعتني بالطفلين؟

ـ لا تقلقي.. سأعتني بهما.

فكرت آديل: يجب أن أدفع لك أجرك وأجرة الطبيب، فمن أين ذلك وأنا لا أعمل؟ وكان هذا ما أنذرها منه لوغان.. تدفقت دموع العجز إلى وجنتيها.

عاد الطبيب إلى غرفتها فنظر إليها وقال بتسلط:

ـ والآن سيدة لامبرت، إن كنت محظوظة فلن تمكثي في المستشفى سوى بضعة أيام.. وأما البكاء فلن يفيدك أو يساعدك على الشفاء.. سأتصل بزوجك هذا المساء..

قاطعته بصوت كسير: ليس لي زوج.

ـ آه! حسناً، على أي حال، يجب أن تسترخي وتستريحي.. لا تقلقي.

أغمضت عينيها بوهن.. ما أسهل هذا القول فهو ليس مضطراً لتسديد الفواتير.

ما إن وصلت المستشفى حتى بدأت باتباع تعليماته بحذافيرها فكان أن تجاوزت خطر الإصابة بالتهاب رئوي وبدأت تسترد عافيتها.

جاء ڤيكتور ولوسيا لزيارتها.. لكن نيل هارلو بشكل خاص لم



WWW.REWITY.COM

يزرها.. ثم وقبل يوم من موعد خروجها إلى البيت، جاء ڤيكتور بمفرده وجر كرسياً إلى قرب السرير، وقال بلهجة عملية:

ـ يجب أن نتكلم آديل.. أراك أفضل حالاً. على فكرة.. لم تعودي كالأشباح.

تمكنت من رسم شبح ابتسامة: يا له من مدح!

ـ تحدثت طويلاً مع الطبيب اليوم.. أنت متعبة كثيراً.. لهذا أصبت بالمرض بهذه السرعة وهو يرى أنك بحاجة إلى الراحة.. يقول إن عليك عدم العمل قبل ثلاثة أسابيع.

ـ أسابيع! ڤيكتور.. هذا جنون.

وجلست ساخطة في فراشها.. فقال بجرأة:

ـ اصغي.. اصغي.. إنه على حق. وأعرف هذا وأنت تعرفينه أيضاً.. فيمن أتصل بنويل أم بلوغان؟

سقط فكها إلى الأسفل.. وتهاوت إلى الوسائد ثم قالت بقوة لم تظهرها منذ أيام:

ـ لا أريد الاتصال بأي منهما.

ـ يجب أن أتصل بأحد.. يقول إنك غير قادرة على العناية بالولدين ولا يمكنك تحمّل أجرة لوسيا أكثر من هذا.

ـ يبالغ الأطباء كثيراً.

ـ عليك الابتعاد فترة.. نويل ثري.. فلماذا لا تقيمين مع عائلته..

ـ أنت لا تعرف أمه.

ـ توقفي عن مقاطعتي.. أو أقيمي مع لوغان أو خالته.. فمن تختارين؟

ـ لوغان أبداً.. إياك أن تعلمه بأنني كنت في المستشفى.. عدني بهذا ڤيكتور.

لم تلاحظ تردده:



ـ حسناً.. أعدك! إذن بقي أمامك خالته..

حتى تستعيد عافيتها وتعود إلى العمل يكون ما ادخرته قد ولّى.. لذا عليها القبول بمساعدة أحد. أضاف ڤيكتور متجهماً:

ـ أمامك خيار آخر.. بإمكاني وإيموجين أن ندفع لك أجر مدبرة منزل.

نظرت إليه بسرعة: «من مدخراتكما؟»

ـ أجل.

ـ آه ڤيكتور.. ما ألطفكما!

مدت يدها تمسك يده:

ـ لكنني لن أسمح لكما بهذا فبذلك تضطران إلى تأجيل موعد الزواج..

ـ ليس لوقت طويل.. ناقشنا الموضوع ووجدنا أن علينا الانتظار حتى أيلول.

بسبب ضعفها بكت بسهولة.. مسحت دموعها وقالت: اشكر إيموجين نيابة عني.. إنه عرض جميل ولكن يستحيل علي القبول به.. هل تتصل بخالة لوغان نيابة عني؟ اسمها كاسندرة فورست وهي تقطن في مونتريال في منطقة اسمها «بيارفوندز» سأطلب منها عدم إخبار لوغان بأمري.

ـ سأفعل ما دام هذا ما تريدين.. أظنه كان يهتم لأمرك.

لم تستطع إبعاد المرارة عن صوتها:

ـ أنا مسرورة لأنك استخدمت صيغة الماضي.

ـ سأحضر غداً لاصطحابك إلى المنزل.. أما الآن فسأذهب لأضع التوأم في فراشهما.. إنهما يفتقدانك كثيراً.. نوماً هنيئاً.

لكنها ما كانت لتكون سعيدة لو عرفت ماذا فعل ڤيكتور تلك الليلة.. اتصل بثلاثة أرقام لعائلة فورست قبل أن يحصل على الرقم الصحيح.



WWW.REWITY.COM

ردت الخادمة التي قالت بلهجة إنكليزية ممزوجة بلكنة فرنسية قوية أن مدام فورست لا تتوقع عودتها قبل ساعة.. قال لها إنه أخطأ في تسجيل عنوان ابن أخت السيد في تورنتو، فهل لديها فكرة عنه؟

ـ عنوان ابن أخت المدام؟ مسيو ردفورد؟ وي!

ـ أرجوك.

ـ سأجده! دقيقة واحدة.

عرف أن هذا يعني أن ينتظر. وكم سيكلفه هذا الاتصال الخارجي يا ترى؟.. عادت الخادمة التي أعطته عنواناً بإنكليزية عامية. سجله فيكتور ولم يكن متأكداً من فهمه.. فقد أطلقت الخادمة كلمات فرنسية كثيرة لم يستطع فهمها.

أخيراً قال: «شكراً لك.. سأتصل بالسيدة بعد ساعة. وداعاً».

نظر إلى العنوان بحيرة ثم توجه إلى غرفة آديل حيث راح يبحث في أدراجها شاملاً خطيبته الأولى بأخرى، وجد الصورة التي يريدها فوضعها في غلاف، وكتب عليه عنوان لوغان واسمه وختمه.. أمل ألا تكتشف آديل ما فعله حتى تثمر خطته بنتيجة.

استقبلته آديل في الصباح التالي بحرارة، ولكنه رفض بعناد الإجابة عن أي سؤال حتى وصلت إلى غرفتها في الشقة واستقرت.. راح التوأمان يضحكان بسعادة.

ـ ما أروع أن يعود المرء إلى بيته فيكتور!

ـ لكنها إقامة مؤقتة هنا.. تانت كايسي التي لا تحب مناداتها بالسيدة فورست على فكرة، أبرقت حوالة بثمن التذاكر ليلة أمس وحجزت لنا جميعاً في الدرجة الأولى. أما موعد السفر فغداً بعد الظهر، عطلت عن عملي مدة يومين لأرافقك فالطبيب طلب ألا تسافري بمفردك.. والتانت كايسي تتطلع شوقاً لملاقاتنا جميعاً.. وقد أخذت منها عهداً بألا تخبر لوغان.



WWW.REWITY.COM

أجفلت آديل: «يا إلهي! يا لطيبتها».

ـ نعم إنها طيبة.. وهي إلى ذلك صادقة.. أظنها سرّت حقاً لأنني اتصلت وبقيت تقول: ابنة ماود، وحفيديّ ماود.

ـ أكانت تعرف بأمر التوأم؟

عبس بتردد ظاهر:

ـ أجل، لكنها على ما أظن لم تخبر لوغان بهما.

ـ لا.. أتساءل لماذا؟

ـ اطرحي عليها هذا السؤال حين تصلين إلى هناك.. أما الآن آديل لامبرت فسأعد لك طعام العشاء.. استريحي.

التفت إلى التوأم: هيا إلى الخارج.

استلقت آديل في سريرها وبداها فوق الغطاء.. لم يعد يؤلمها التفكير في لوغان كثيراً فهي على وشك الرحيل للإقامة عند خالته التي يحبها وهذا يعني أن لديها أملاً بلقائه.. على الأقل ستكون أقرب إليه وهي تقيم في منزل المرأة الوحيدة التي يثق بها..

وكانت امرأة!!

شعرت آديل رغم السفر في الدرجة الأولى بالإرهاق. عندما توقف التاكسي أمام واجهة المنزل الأنيقة شعرت بتوتر وانفعال.. ما زالت قادرة على الطلب من السائق أن يعود بهم إلى المطار. وربما أحس فيكتور بهذا إذ قال:

ـ حسناً.. ها نحن هنا.

والتفت إلى التوأمين المتذمرين:

ـ هس.. وصلنا.

انفتح الباب الأمامي عندما كان فيكتور يدفع السائق أجرته.. أطلت خادمة شابة جميلة سارعت تحمل حقيبة من الحقائب الصغيرة أما فيكتور فحمل التوأم.

ـ أتستطيعين الصعود بمفردك آديل؟

ابتسمت له بغير اقتناع فشعرت بفمها جافاً وبحنجرتها ضيقة. . ترجلت من التاكسي فشعرت بالهواء البارد يلفح وجهها. . كان الثلج على جانبي الطريق وعلى الأرصفة كثيفاً.

خطت آديل إلى الردهة، كان وجهها شاحباً منحوتاً بدقة كالثلج المتهمر حديثاً. .

قطع صوت رقيق ساحر كل الحديث:

ـ إذن. . هذه هي المرأة التي وقع ابن أختي في حبها؟

ران صمت مطبق قطعته آديل بالقول بصراحة وبدون دبلوماسية:

ـ آه. . لا. . لم يقع في حبي.

كانت تانت كايسي ترتدي تنورة خضراء طويلة وكنزة بيضاء ناعمة وسترة طويلة من الصوف. . خطت إلى الأمام، وأمسكت يدي آديل بيديها وقبلتها على خديها.

ـ أهلاً بك عزيزتي. . مسرورة أنا بقدومك.

لا مجال للشك في صدقها. . وضغطت آديل بلطف على الأصابع المزينة بالخواتم.

ـ شكراً لك. . أنت في غاية اللطف لأنك استقبلتنا في منزلك.

أشارت التانت كايسي إلى الخادمة الصغيرة:

ـ هذه ماريان، وتلك تيريز مدبرة المنزل أما هذه فمونيكا التي ستعتني بالتوأم.

مونيكا سمينة يحيط بها جو من الرقة واللطف. . فقد ابتسمت لمارغو ابتسامة حلوة هي ألطف ابتسامة شاهدتها آديل يوماً. . حين مدت ذراعيها إلى الأمام رمت الصغيرة جسمها عليها. . ودفنت وجهها المتعب المتسخ في كتف مونيكا الدافىء.

قالت آديل: «حسناً. . لو لم أر هذا لما صدقته».



WWW.REWITY.COM

قالت تانت كايسي:

ـ مونيكا رائعة مع الأولاد. . سيد لاوسون لماذا لا تحمل الصبي الصغير إلى فوق مع مونيكا، ليتناولا العشاء؟ أما أنا فسأرشد آديل إلى غرفتها.

لحقت آديل بالجسد المستقيم صعوداً على الدرج السنديانى المحفور. كان جزء منها يتساءل عما إذا كان لوغان الصغير يتزحلق على سياج هذا الدرج. . فتحت التانت كايسي الباب الثاني في الردهة الواسعة المغطاة بالسجاد العجمي وأشارت لآديل كي تدخل.

كانت غرفة جميلة متناسقة، مرتفعة السقف نوافذها الزجاجية مرتفعة وهي تطل على أشجار الحديقة. .

قالت تانت كايسي: «أتمنى أن تجدي الراحة هنا. لديك حمام خاص أما الآن فعليك التوجه مباشرة إلى سريرك. ستحمل إليك ماريان العشاء على صينية بعد قليل وستقوم هي بإفراغ الحقائب. أهم ما في الأمر أن تستريحي وتستعيدي عافيتك. أتعترضين إن ناديتك آديل؟»

ـ أبداً. . مدام فورست. .

ـ تانت كايسي. . لا أحب أن يدعوني أحد مدام فورست.

ـ تانت كايسي إذن. . أريد أن أشكرك لأنك استقبلتني والتوأم ولأنك دفعت أجرة السفر، إنه لطف كبير منك.

ـ لطف؟ هه! بل هو من دواعي سعادتي! ليس لدي ما يشغلني، فوجودك معي أنت والطفلان سيملأ وقتي.

استرخى الوجه المتجعد فذكرها هذا الوجه بوجه لوغان.

أضافت المرأة: «سأتحول مع الوقت إلى الإعجاب بك لشخصك. . أما الآن فعليك أن تسامحيني لأنني أراك ابنة ماود».

ضحكت ضحكة دافئة:

ـ ذكريني أن أحدثك عني وعن والدتك.

- أمي؟
قالت التانت كايسي:
- كان تأثيري فيها سيئاً جداً..
- أحب أن أسمع قصصكما.
- بعدما تستريحين أريد منك أن تخبريني المزيد عن شقيقتك المسكينة.
- أجل.
- أما الآن فنامي.. ولا تقلقي عليّ.. وهذا يشمل ابن أختي الذي هو بأمس الحاجة إلى التوبيخ.
- أنا..
- سنناقش أمره فيما بعد.
لم تحمل لهجتها خيراً للوغان الغائب. قالت آديل التي شعرت بأن محدلة مرت بها:
- لا أظن أن هناك ما نبحثه.
قالت المرأة مبتسمة:
- لا؟ سترى! نامي جيداً آديل.. يسرني وجودك هنا.
وأقفلت التانت كايسي الباب.
خلعت آديل ثيابها ببطء وشعرت بأنها عادت طفلة صغيرة تتخذ أمها جميع قراراتها.. نامت قليلاً ثم أكلت الوجبة اللذيذة التي حملتها إليها ماريان.. وقبلت التوأم ليناما عندما جلبتهما مونيكا.. كانت تفح منهما رائحة النظافة وبدوا سعيدين مع مونيكا.
ثم جاءت التانت كايسي فجلست على الكرسي الأبيض قرب السرير:
- لقد أرسلت صديقك الشاب إلى النوم.. عليه أن يسافر باكراً في الصباح، إنه شاب لطيف جداً.
- كان خير صديق لي.



- وما كان رأي لوغان به؟
هذا هو سبب زيارتها.. ولأنها اطمأنت على التوأم قالت آديل ببرود:
- في البداية أساء الظن كثيراً ولكن ما إن اتضحت له الأمور حتى أحب كل منهما الآخر.. مدام فورست.. أنت..
- لا تقولي مدام.. اسمي تانت كايسي.. أرجوك.
- تانت كايسي.. لم تخبري لوغان بقدومي إلى منزلك.
- تلقيت تعليمات صارمة من صديقك الذي رجاني ألا أتصل به.
أحست آديل بابتسامة تقتحم فمها:
- لكن هل أطعت هذه التعليمات؟
ضحكت التانت:
- أطعت بكل تأكيد.. هل تعتقدين العكس؟
ثم غمزتها.
- هل رأيته منذ عودته؟
- لم أره.. إنما اتصل بي من تورنتو.. كان غاضباً.. في البداية خلتك تحتفظين بدزينة رجال في شقتك، وظننت أن عندك ولداً من كل منهم.
شهقت آديل:
- لم يصدقني حين أكدت له أن التوأمين لأختي.
- عرفت أنه لن يصدق.
- لماذا لم تخبريه قبل أن يسافر إلى نيوأورليتز؟
- ولماذا لم تُظهري له وثائق الميلاد أو أي شيء يؤكد أبوتهما؟
- لأنني أردت أن يثق بي.
- وكنت على حق.. على حق.. كانت طفولته قاسية.. أمه.. أختي.. جيرالدين، كانت أماً غير صالحة أبداً.. ولكن الماضي ولّى واندثر وعليه أن يتعلم العيش في الحاضر لا في الماضي.. لا تقلقي، لن



WWW.REWITY.COM

أتصل به لأخبره بأنك هنا.. يجب أن تجري الأمور بشكل طبيعي.

وهذا ما لم يرق لآديل. سمعت نفسها تقول كلمات لم تكن تنوي قولها:

- لولا اهتمامي به لما كان الأمر بهذه الصعوبة.

- سعيدة بهذا.. فأنت يا عزيزتي المرأة المناسبة له.. هذا ما أنا مقتنعة به رغم معرفتي القصيرة بك.. وهو في أعماق نفسه يعرف أنك المرأة التي خلقت من أجله ولهذا هو غاضب، إذ يقاوم بكل جهده.. كفى.. لقد ناقشنا أمره بما فيه الكفاية فعليك أن تستريحي. سأرسل لك صديقك صباح الغد قبل أن يرحل.. تصبحين على خير آديل.

نامت آديل الليل كله فلمّا استيقظت شعرت بالراحة وبالاسترخاء.. وكانت تنعم وتتلذذ بالفطور عندما قرع ڤيكتور بابها ودخل مبتسماً حليقاً، يرتدي معطفه فوق ثيابه.

- أنا مسافر.. لا أدري متى أراك مجدداً، ولكنك بأفضل حال آديل.

- نعم أشعر بهذا.. آه! ڤيكتور لا أعرف متى أراك، قد لا يكون هذا قريباً.

- وقد لا تعودين أبداً إلى نيو أورليانز.. سأفتقدك آديل.. أنت والتوأم. إنما سنبقى على اتصال دائم..

صمت متردداً قليلاً: «سأكون عملياً عزيزتي.. لكن هناك ما أريد أن أطلبه منك.. ستنتهي مدة إيجار الشقة بعد أيام.. وبسبب البلبلة التي حصلت أثناء إقامتك في المستشفى نسيت الأمر.. وبما أن إيجار الشقة مرتفع قليلاً علي، اقترح بالكي يوماً أن بمقدوري السكن معه. ترى بما ستشعرين لو أنهيت عقد الإيجار ونقلت أغراضنا من الشقة؟»

ابتسم بحزن:

- ما إن يحل الصيف حتى أنتقل للعيش مع إيموجين.

سألته بصوت ضعيف:



WWW.REWITY.COM

- أيمكنك تخزين أغراضي؟ الملابس والكتب وما شابه؟

- أجل.. لدى بالكي مكان في السقيفة.

- إذن إنه العمل المنطقي.

أحست أنها تحرق الجسور وراءها.. فبدون وجود شقة لن تستطيع العودة إلى نيو أورليانز.. تابعت مستسلمة للقضاء والقدر:

- من الأفضل أن تتصل بنيل هارلو في الملهى وتخبره بأنني لن أعود.. آه.. ڤيكتور.. ليت ما أفعله صواباً!

- بكل تأكيد آديل.

تردد ثانية ثم قال بحذر:

- أنا أكثر تفاؤلاً منك.. لدي شعور بأن الأمور ستجري على ما يرام بينك وبين لوغان.

- ليتني مؤمنة بهذا مثلك!

- سترين.. أراهن أنه سيظهر في يوم ما على أعتابك، وسيحملك معه نحو مغيب الشمس.

- يا لك من رومانسي ڤيكتور!

أخفت بمرارة طعنات الشوق التي أثارتها كلماته في نفسها:

- بلّغ إيموجين حبي.. أعرف أنكما ستكونان سعيدين معاً.

ترقرقت الدموع في عينيها وأسرعت تقول:

- أعطني عنوان بالكي.

دوّن العنوان على ورقة وضغط على كتفيها بقوة أفصح من الكلمات.. سمعت وقع خطواته تبتعد فعرفت أن فصلاً آخر من حياتها قد انتهت فصوله.

* * *

# ١١ - . . . ضاع الزنبق!

بعد سبعة أيام على سفر آديل، كان رجلان يسيران جنباً إلى جنب في شارع «بلور ستريت دست» في تورنتو.. إنه يوم من أيام شباط الذي على المرء أن يسير فيه بسرعة أو لا يسير.. فالحرارة دون الصفر والريح قوية.. كان الرجل الطويل الأشقر يرتدي معطفاً من الصوف فوق بزة عمل سوداء.. وكان يصغي بينما الآخر يتحدث:

- أتتصور؟ كيف يتجرأ ليقول لي هذا، لوغان بعدما هبطت أسعار الأسهم إلى ما دون الثلاث دولارات؟.. مع أنه يعرف أنني على شفير الإفلاس.

- يا لجرأته!

كان «ذلك الرجل» سمسار أسهم مالية.

قال لوغان: أتصور ذلك.. توري.. هل تمكنت من الخلاص من الخيارات الأخرى؟

- وكانت خسارة كبيرة.. أقول لك لوغان.. ليته.. ماذا في الأمر؟

توقف لوغان مسمراً فقد نظر إلى واجهة أحد المحلات وكأنه لم ير قط وردة. في الواقع كان أمامه في الواجهة عدد كبير من الزهور التي كانت بمعظمها زهور استوائية إلا ورود زنابق «روبروم» «سكابيوازا» و «السترومبريا».. في الوسط باقة من الزنبق البري ذي اللون الأحمر القاتم والسيقان الطويلة.



WWW.KEWITY.COM

توري قال معتذراً:

- ماذا أقول يا رجل.. هلا مشينا؟ أكاد أتجمد. وسأتأخر عن موعدي.

لزم لوغان جهد جسدي حقيقي ليعود إلى حاضره. تورد وجهه كفتى مراهق.

- آسف.. كنت بعيداً أميالاً.. اسمها آديل.

رفع توري حاجبه، وسأل مستغرباً:

- لا تقل لي إنك واقع في الحب.. لم أتصور أنه سيأتي عليك مثل هذا اليوم أبداً.

اعترف لوغان الذي شعر بالراحة لأنه يبوح بمشاعره أمام نفسه وصديقه:

- بإمكانك قول هذا.. لكنني عاملتها أسوأ معاملة وقد لا ترغب في رؤيتي مجدداً.

- الزهور هي الطريق إلى قلوبهن.

ولأنه لم يرَ لوغان يوماً على هذه الحال تابع بثقة نفس غير عادية:

- أرسل لها باقة ورد كبيرة.. ولا تظننّ أبداً أن جميع النساء كأمك.. والآن أسرع.. لا أستطيع إبقاء مايلز العجوز منتظراً. وداعاً الآن لوغان.. وحظاً سعيداً.

وسارع مبتعداً... لم يكن توريان ممن يتطرق إلى أمور شخصية ولكن لوغان بدا بحالة سيئة اضطرت توري إلى ذكر جيرالدين.

دخل إلى المحل فطلب دزينتين من الزنابق لترسل بالبريد المستعجل إلى عنوان آديل، ثم عاد بسرعة إلى مكتبه.. كان مكتبه في الطبقة العاشرة. قال وهو يدفع الباب ليفتحه:

- ماري لو.. أرجو منك أن تحجزي لي مقعداً على الطائرة المسافرة إلى نيو أورلينز في أسرع وقت ممكن.



رفعت ماري لو السكرتيرة الجذابة القوية الشخصية البنية الشعر حاجباً رفيعاً أنيقاً:

- بالتأكيد سيد ردفورد، متى تنوي العودة؟

- لا أدري.. سأتصل بك من هناك.

- يجب أن تلغي مسألة «موريارتي» ولديك موعد مع المحامي غداً.

- الغيهما! أخبريني عندما تحجزين.

نادته وهو يختفي في مكتبه: بريدك على المنضدة.

عندما دخل إلى مكتبه تلقى صدمة ثانية في ذلك اليوم.

طوابع بريدية أميركية، وختم نيوأورليتز، والغلاف مميز بختم «شخصي».. العنوان الأساسي بخط غير معروف، وغير صحيح، والرسالة أعيد تصحيح عنوانها، لهذا استغرقت أكثر من عشرة أيام للوصول إليه.. قلب الرسالة بين يديه فخفق قلبه عند رؤية اسم ڤيكتور وعنوان الشقة التي يعيش فيها مع آديل.. ثمة خطب ما.. ولولا ذلك لما أرسل ڤيكتور رسالة.

حاول ثلاث مرات حتى استطاع فتح الغلاف.. لم يكن في الداخل رسالة أو مذكرة بل مجرد صورة.. جفّ اللون من وجهه.. إنها صورة عائلية، أبوان وولدان.. الولدان هما التوأم وهما محمولان على الأذرع.. لكن لا مجال للخطأ في كنت ومارغو.. لم يعرف لوغان الرجل الملتحي، أما المرأة الشابة التي تحمل الطفل الآخر فهي بدون شك أخت آديل فلها الشعر الذهبي ذاته.. ولكن وجهها أطول من وجه آديل وبدت لعيني لوغان غير جميلة مثلها.. لكنها تشبه آديل.. على أي حال.

قلب الصورة فإذا عليها هذه الكلمات.. «أليسا رائعين؟ يجب أن تأتي لتريهما حبيبتي آديل.. لك حبنا.. فونز وجولي».

وضع الصورة على الطاولة والغصة في صدره. مات فونز وجولي في عز شبابهما ونشاطهما.. وحملت آديل على عاتقها مهمة تربية التوأم..



WWW.REWITY.COM

دفن رأسه بين يديه.. وراح يتساءل إن كانت ستغفر له.

- سيد ردفورد.. هل أنت مريض؟

رفع رأسه فإذا في عينيه الزرقاوين ما يمنعها من طرح المزيد من الأسئلة.

- لا.. هل حجزت؟

- بالتأكيد.

ووضعت أمامه ورقة عليها مواعيد السفر مطبوعة. للمرة الأولى منذ دخوله إلى المكتب يبتسم:

- إذن.. سأسافر في الثالثة.. شكراً لله. من الأفضل أن أعود إلى المنزل وأرمي بضعة أغراض في حقيبة.. شكراً ماري لو.. سأتصل بك غداً لأعلمك بموعد عودتي.

مرت الرحلة بدون أحداث تذكر.. فقد وصل إلى فيلادلفيا في العاشرة مساء، فحجز في الفندق عينه «ڤيوكاريه». بعد ذلك استبدل معطفه الصوفي بآخر واقٍ من المطر، ثم انطلق سيراً إلى الشقة. من الأفضل أن يقابلها في منزلها لا في الملهى، فهذا سيمنحه الفرصة لشكر ڤيكتور على إرساله الصورة. وهو تصرف قام به ڤيكتور بدون علم آديل وهذا ما هو متأكد منه، ولا شك أنها ستغضب من ڤيكتور عندما تعرف.

لكنه الآن أصبح خائفاً فعلاً.. كان خائفاً.. هو.. لوغان ردفورد.. الذي يواجه مجلس إدارة غاضباً بكل هدوء وبرودة، هو الآن خائف من مواجهة امرأة شابة حجمها أقل من نصف حجمه.. كان مذعوراً من أن تنظر إليه العينان البنفسجيتان بكراهية.. أو أن تصرفه بعدم اكتراث بارد..

خفق قلبه بين ضلوعه ما إن اقترب من بيتها.. فتح الباب الذي يحتاج إلى طلاء. كان مدخل المبنى هادئاً والدرج مهجوراً. نظر بشكل آلي إلى لوحة الاسم فلم يجد الاسم ورأى اللوحة خالية من أية بطاقة.

فكّر أنّ البطاقة وقعت ولم يزعج أي منهما نفسه بردّها إلى مكانها..



قفز الدرج درجتين درجتين وما إن وصل أمام شقة آديل حتى قرع بابها.. لا رد.. ولا صوت من الداخل.. دق الخشب مرة أخرى في هذه المرة بقوة أكبر.. ثم صاح بصوت مرتفع: ڤيكتور؟ آديل؟

لم يرد عليه غير الصمت فقط.. أوحى له هذا الصمت بما هو مريب.. إنه صمت الفراغ..

أسبل يديه إلى جنبيه فقد عرف أن لا جدوى من الطرق مجدداً.. وقف هناك مشلول الفكر والجسم.. ثم أخيراً بدأ يفكر.. لوسيا، الفتاة السوداء الشعر التي بقيت مع التوأم عندما خرج مع آديل في نزهة إلى النهر تعيش في المبنى ذاته، في الطابق العلوي..

سار في الممر العلوي من باب إلى باب حتى وجد ضالته فقرأ الاسم، وقرع الباب.

وقع أقدام.. ثم فتحت الباب امرأة لم يرها من قبل ونظرت إليه بريبة: «نعم».

- هل أستطيع أن أتحدث إلى لوسيا؟ أرجوك.

- ليست هنا.

وبدأت تقفل الباب.

- أرجوك.. أنا أبحث عن آديل لامبرت التي تعيش في الطابق الواقع تحت طابقك.. كانت لوسيا تجالس التوأمين لذا ظننت أنها قادرة على إخباري بمكانها.

انفتح الباب مجدداً: «أم التوأم».

- هذا صحيح.

- آه! لقد مرضت ودخلت المستشفى.

تمسك لوغان بإطار الباب:

- هل هي بخير؟ أين هي الآن؟

- هاي.. هل أنت بخير أيها السيد؟



WWW.REWITY.COM

ـ أجل.. أنا بخير.. ماذا عن آديل؟ ماذا أصابها؟

ـ أصيبت بالتهاب رئوي على ما أعتقد.. لكنها خرجت من المستشفى.. هذا ما قالته لوسيا. ثم سافرت مع التوأم.. سافرت إلى الشمال ولكنني لا أعرف إن كانت لوسيا تعرف بالتحديد عنوانها هناك.. أما الرجل الذي كان يعيش معها فانتقل.. لقد تشاجرا على ما يبدو.

بذل جهداً ليقول: «هل ستتأخر لوسيا؟ ربما تعرف مكان وجود آديل».

ـ سافرت لثلاثة أيام.. مع صديقها. بعض الناس محظوظون.

إنها النهاية.. الحائط المسدود.. ابتعد لوغان عن الباب وهو يشعر بتعب شديد.

ـ شكراً لك على مساعدتك..

ـ ألا تريد أن تتصل بك لوسيا لدى عودتها؟

أخرج بطاقته من محفظته.

ـ إذا كان لديها معلومات عن مكان آديل فلتتصل بي على هذا الرقم، على حسابي.

من الواضح أن البطاقات عادة غير مألوفة في حياة هذه المرأة التي نظرت إلى البطاقة البيضاء المستطيلة بريبة.

قالت: حسناً.. سأخبرها.

نزل لوغان ببطء على الدرج ومنه إلى الشارع. كانت آديل مريضة ولم يعرف بأمرها. أصيبت بالتهاب رئوي ودخلت المستشفى في الوقت الذي كان هو فيه يهدىء غضبه ومرارته.. آه! يا إلهي.. ما أغباني! الآن اختفت.. هي والتوأم.

وما زاد الطين بلة أنه يجهل عنوان فيكتور الحالي.. جرب البحث في دليل الهاتف وفي الفنادق فلم يجد له اسماً.. عندئذ اتصل بالملهى فلم يتلق أية معلومة.. فهل رحلت آديل مع نويل.. دفعها المرض للسعي إلى



المساعدة التي ما كانت لتقبل بها لولا ظروفها.. ولكن ما هو عنوان نويل؟ إنه يجهله أيضاً.

خلع حذاءه ورمى سترته على السرير.. إنه أمام حائط مسدود.. أين هي بحق الله.. المرأة الجميلة البنفسجية العينين التي وقع في حبها؟ كانت مريضة، خائفة، يائسة.. ولم تتصل به.. كان عليها أن تتلقى يد المساعدة ولكنها كرهت ذلك.. تألم لأنها لم تلجأ إليه.. ولماذا تلجأ إليه؟ فهو الذي هجرها على أي حال.

كانت تلك الليلة أطول ليلة يشهدها لوغان. أخيراً نام ولكن لمدة قصيرة، فحين انبلج الصبح لينير سماء المدينة لم يشعر أنه نام.. كانت عيناه تحرقانه وعضلاته مشدودة، وشعر بصداع يكاد يشق رأسه نصفين. ولكنه خلال ساعات ليلة العذاب قرر السبيل الوحيد الذي سيسلكه.. سيسافر إلى مونتريال.. فقد تكون آديل عند التانت كايسي، وإن لم يجدها عند الخالة سيتصل بكل جامعة على طول الساحل حتى يجد نويل.. لكن أن تكون آديل غير موجودة في كلا المكانين فأمر لم يجرؤ على التفكير فيه.

* * *

حين أقلّه التاكسي إلى منزل التانت كايسي كان الوقت عصراً وكان الثلج يتساقط. حمل حقيبته وسار في الممر الداخلي ورأسه يدور بألف فكرة وفكرة ودمه ينبض في أذنيه.

رأته آديل قادماً.. كانت عند الباب الأمامي المطل على الشارع تصغي إلى موسيقى براهامز وتقرأ تاريخ مونتريال.. كانت مونيكا قد اصطحبت التوأم ليلعبا بالثلج، لكن التانت كايسي وجدت أن الطقس بارد على خروج آديل فنصحتها بملازمة المنزل الذي كان هادئاً..

تبدو آديل أفضل بكثير عما كانت عليه منذ أسبوع فعلى خديها شيء من لون وجسدها امتلأ قليلاً.. لكن عينيها ما زالتا تحملان نظرة شخص



WWW.REWITY.COM

متعب وكأنها تبحث عن شيء أو عن شخص في مكان ما ولا تجده.

كانت تشتاق للوغان كثيراً.. وكثيراً ما فكرت في ما كان يفعله الآن وفي ما إذا كان في تورنتو أم في نوڤاسكوتيا.. أم في أميركا.. وكثيراً ما تساءلت إن كان مشتاقاً إليها أم أنه لن يتعلم أبداً الثقة بامرأة. وهذا ما جعلها تستنتج أنها لا تريده أن يثق بامرأة أخرى.. وعندما كانت تفكر فيه كانت تتوقف عما تقوم به وتأخذ بذرع المكان جيئة وذهاباً في محاولة يائسة لإتعاب نفسها حتى تعود فتختفي صورته من رأسها.

بعد ظهر اليوم الذي وصل فيه، كان الكتاب مفتوحاً أمامها ولكنها لم تكن تنظر إليه بل كانت تنظر إلى ألسنة النار في المدفأة تفكر فيه.. أما تانت كايسي فكانت جالسة إلى الجهة الأخرى من الموقد تقرأ أيضاً أو هذا ما كان ظاهراً، لأنها في الواقع كانت تراقب آديل وتفكر في أنها تبدو صورة مبهجة للنظر بكنزتها البيضاء وتنورتها الصوفية.. وتفكر كذلك في أنها ترغب في دق عنق ابن أختها..

رفعت آديل نظرها تلقي نظرة إلى الخارج لأنها سمعت صوت إقفال باب سيارة.. فجأة شحب وجهها، ووقع الكتاب أرضاً. وقالت بصوت مخنوق: «إنه لوغان!»

أقفلت العجوز كتابها بقوة: حقاً؟

اشتعل وميض المعركة في عينيها البنيتين:

ـ أتساءل ماذا يريد.

سمعنا بوضوح وقع أقدامه وهو يرتقي الدرجات الأمامية ثم تعالى رنين جرس الباب.. تسمرت آديل في مقعدها ووقفت التانت كايسي ترتب فستانها الغريب اللون.

ـ لازمي مكانك آديل.. ولا تقولي كلمة!

شهقت آديل برعب: لا تطرديه!

شخرت التانت كايسي وهي تتجه إلى الباب ساخرة:



ـ لا أظنني أقدر حتى لو رغبت في ذلك.. فلا تقلقي.. صغيرتي!

وأقفلت الباب وراءها لئلا يرى من في الردهة مَن في الغرفة.

وقفت آديل ولحقت بها ثم وقفت وراء الباب حيث يمكنها سماع الحديث بدون أن يراها أحد.. كانت ماريان قد أدخلت لوغان وقالت لها التانت كايسي بقسوة:

ـ هذا كل شيء، شكراً ماريان.. حسناً لوغان.. إلامَ أعزو شرف هذه الزيارة؟

ذعرت آديل.. التانت كايسي تستمتع بما تفعل.. عندما رد لوغان جاءت كلماته فظة قاسية ملؤها الإرهاق..

قال بدون مقدمات: أنا أبحث عن آديل.. أتعرفين أين هي؟

ـ ولماذا تبحث عنها؟

قال بنبرة بشعة:

ـ لا تتلاعبي بي تانت.. هل هي هنا؟

ـ لوغان.. منذ أسبوع ونصف كنت غاضباً من آديل غضباً غريباً شديداً لم تشعر بمثله إلا تجاه أمك بالتأكيد.. وها أنت الآن تدخل إلى هنا بدون أن تعلمني بقدومك ثم تطلب رؤيتها.. أظنك تدين لي بتفسير.

ـ هل هي هنا؟

ـ قل لي أولاً..

ـ حباً بالله.. أكاد أجن قلقاً.. أتفهمين هذا؟ ذهبت إلى نيوأورلينز فأخبروني أنها كانت مريضة في المستشفى.. كانت الشقة فارغة ولم أعرف عنوان ڤيكتور.. كل ما عرفته هو أنها سافرت شمالاً إلى جهة مجهولة.. لديها صديق اسمه نويل.. ولكنني لا أعرف في أية جامعة هو الآن. الشيء الوحيد الذي استطعت القيام به هو المجيء إلى هنا.. ثم تتجرئين فتقفين طالبة مني تفسيراً.. ردي على هذا السؤال فقط أتعرفين أين هي؟



WWW.REWITY.COM

ـ إنها هنا.

أطلق لوغان أنفاسه متنفساً الصعداء ثم ران صمت بدا طويلاً طويلاً لكنه ما لبث أن قال بصوت هادىء مختلف:

ـ هل هي بخير؟ يجب أن أراها..

ـ رويدك، رويدك لوغان.

قالت جملتها بأمر يصعب عدم إطاعته.

ـ أنت على حق.. آديل مريضة. كانت في المستشفى وهي تستر عافيتها.. لذا لن أسمح لك بالدخول عليها كالعاصفة لتراها وتكدرها.. ما زلت أنتظر تفسيراً على تصرفاتك السخيفة في الأسبوعين المنصرمين.. لولا معرفتي العميقة بطباعك لقلت إنك واقع رأساً على عقب في حب الفتاة.

رد بنفاد صبر: «بالتأكيد أحبها».

ـ لا تقل بالتأكيد.. ففي المرة الأخيرة التي كلمتك فيها كنت غاضباً غضباً غريباً.

ـ تغيرت منذ ذلك الوقت.

ـ آه!

ران صمت ثقيل آخر، أما آديل فكانت في الداخل تلتقط أنفاسها بعد الصدمة التي منيت بها، صدمة اعترافه بحبها.

ـ لا أستطيع أن أشرح لك شيئاً تانت.. ولكن ثقي، ثقي أنني تغيرت.. أعرف الآن خير معرفة أن آديل لم تكذب عليّ.. الولدان توأم أختها.

ـ أجل.. كان بإمكاني أن أخبرك أنا بهذا قبل أن تذهب إليها في المرة الأولى..

قاطعها بسخرية بارزة: خطرت ببالي تلك الفكرة.

ـ ولكن لو أخبرتك بأمرهما لما تعلمت الثقة بها. أليس صحيحاً ما



WWW.REWITY.COM

أقول؟

ردّ عامداً متعمداً:

ـ أنت سيدة عجوز ماكرة.. هل أخبرك أحد بهذا من قبل؟

ـ هذا رأي زوجي أيضاً.

ـ وأنا أحبك.. لا تسأليني السبب.. والآن.. أرجوك، هل أستطيع أن أرى آديل؟ أعتقد أن التوأم هنا أيضاً.

ـ هما في الحديقة الخلفية.. يا لهما من ولدين رائعين.. أما آديل...

ـ أتعنين..

ـ أدخل لوغان.. سأعمل على ألا يزعجكما أحد.

ارتدت آديل عن الباب.. كانت أصابعها متمسكة بطيات تنورتها..

دخل لوغان الباب.. وتساءلت عما قد تقول له بيؤس.

قالت: «لوغان.. تبدو مرهقاً.. تعال واجلس».

ابتعدت خطوتين نحو الموقد.

ـ لا تبتعدي آديل.. أنا أحبك.. وأريد أن تتزوجيني!

كان طلبه للزواج برقة «التيس» المهاجم ولكنه مفهوم. فقد بدا متعباً... بدا رجلاً وصل به المطاف إلى أقصى حدود قوة الاحتمال بحيث بات عاجزاً عن التصرف برقة.. وهذا ما أملى عليها ردها.

قالت بهدوء: «وأنا أقبل».

نظر إليها بدهشة.. أدركت آديل مشفقة أنه لا يكاد يصدق ما سمعته أذناه.. فكررت بصبر وبتفهم عميق:

ـ أحب كثيراً الزواج بك.

ـ حقاً؟

خطا إليها خطوتين، ثم توقف:

ـ آديل.. أتعنين..

- أعني أنني أحبك لوغان.

اجتاز المسافة الفاصلة وأمسكها بين ذراعيه. ثم ما لبث أن دفن وجهه في عنقها.

- آه! يا إلهي.. آديل، أكاد لا أصدق. أنت هنا حقاً؟ وهل قلت إنك تحبينني؟

كانت تضحك وتبكي في آن واحد.

- وكيف أستطيع ألا أحبك.. أحبك بالتأكيد.

أن تكون بين ذراعيه لنعمة من الله... استجابت له بكل جوارحها فشدها إليه حتى يكاد يزهق أنفاسها.

كان زر في معطفه الذي لم يخلعه يخز ضلوعها، فتحركت معترضة.. عندئذ راحت عيناه تبحثان في وجهها:

- هل أنت بخير؟ هل آلمتك؟ لقد نقص وزنك؟

أجابت وابتسامتها تضيء وجهها:

- أجل.. لا.. أجل..

قال:

- الزهور هي التي أوصلتني إلى هذا.. الزنابق.. إنها بلون عينيك.. لم تتلقيها. أليس كذلك؟ غداً سأشتري لك محل زهور بأكمله.

شعرت بالبهجة بسبب حريتها الجديدة التي تخولها لمسه وضمه. ضمت خصره بذراعيها.

- لوغان ردفورد.. هل لك اسم عمادة؟

- لا.. عم تتكلمين؟

- أحمد الله على هذا لأنني لا أتصورك باسم آخر.

- وأنا أحمد الله كذلك.. لأنني لن أكتفي منك أبداً. كدت أموت ذعراً لأنني ظننت أنني أضعتك.. خفت ألا أجدك واعتقدت إن وجدتك أنك ستبادليني الكره لا الحب. أتحبينني حقاً؟



WWW.REWITY.COM

أن يطلب لوغان المعتد بنفسه، الطمأنينة لأمر أثر في آديل التي سارعت تقول:

- أحبك لوغان.. أعتقد أنك أنت سبب مرضي.. رحيلك هو ما أمرضني فقد ظننت أنني لن أراك مجدداً.

مرر أصابعه بلطف على وجهها النحيل:

- لن أسامح نفسي أبداً لأنني تركتك.

- يجب أن تسامح نفسك.. لأنك عدت.. لماذا عدت لوغان؟

نظر إلى نفسه فأدرك فجأة أنه ما يزال مرتدياً معطفه وحذاءه:

- ترك حذائي آثار الثلج على السجاد.. فلأخلع ثيابي ولنجلس بعد ذلك.

رمى معطفه على الكراسي، وخلع سترته وفك ربطة عنقه وفتح ياقة قميصه.

- هكذا أفضل.. عليك ألا تقتربي مني فأنا بحاجة إلى حمام وإلى حلاقة لحيتي.

ردت: «سأخاطر.. عانقني لوغان».

أسرع يعانقها ويقول:

- أتعرفين.. قد تجدين العيش معي صعباً آديل.. أنا معتاد على العيش بمفردي.. أسافر كثيراً في عملي ولكنني لن أكون سعيداً بهذا بعد الآن.. أفكر في التغيير.. سأدخل السياسة المحلية.. فهل تمانعين؟

- وهل تحاول أن تجعلني أغير رأيي؟ أنت متعجرف سيء الخلق، فظ، ألا تذكر؟

أردفت مدعية السخط:

- لوغان.. يجب أن تفعل ما تريد أن تفعل. المهم أن تكون سعيداً.. وقد لا تجد العيش معي سهلاً أيضاً لأنني راغبة في العودة إلى تحضير رسالة الماجستير.. بهذا سنضطر للتوفيق بين أعمالنا وبين تربية عائلة.

تورّدت وجنتاها فقال بحزم:

ـ التوأم وأولادك أيضاً.

بحثت عيناها في وجهه:

ـ هل ستعترض إن عملت على تربية التوأم؟

قبّل وجهها المرفوع إليه قبلة تتحدث عن الالتزام لا عن الرغبة.

ـ لن أفكر في عكس هذا.. التوأم جزء منك آديل. إنها اتفاقية كاملة.

ـ ثلاثة مقابل واحد، وبسعر واحد.

عرفت أن لا حاجة بعد الآن إلى بحث مستقبل التوأم.

نظر إلى خطوط وجهها النحيل:

ـ إنما هذا لا يعني أنني لا أريد أولادنا. فهل تريدين أولاداً يا آديل؟

ـ أريد أولادك أنت بالتأكيد، ومن كل قلبي.

ساد صمت طويل تبادلا خلاله العناق فأكد لها خلاله أنه يريدها بدون أن يقول هذا بالكلمات. عندما تركها أخيراً بدت متوردة، جميلة، جميلة.

قال بصوت أجش:

ـ من الأفضل أن تتزوج حالاً حبيبتي.. فأنا أريدك.. أريد أن تكوني لي.

اغرورقت عيناها بالدموع:

ـ لوغان.. لم أكن قط سعيدة هكذا.

تلاعب بخصلات شعرها الأحمر الذهبي:

ـ أقسم أن أبذل جهدي لأسعدك.

ـ ولن تتركني مجدداً؟

ـ أبداً.. لقد غيرتني آديل مع أنني لا أعرف كيف أو لماذا.. كنت أنظر إليك فأرى فيك أمي، أما الآن فأعرف أنك مختلفة عنها تماماً فأنت صادقة وجديرة بالثقة..

ـ وسأكون مخلصة لك إلى الأبد لوغان.



ـ أنا واثق من هذا.. ليتني قادر على شرح ما الذي حدث لي.. لماذا عرفت فجأة أنني أبله لأنني لم أؤمن بك.. والحقيقة أنني لا أفهم السبب حقاً.

وصف لها باختصار كيف رأى الزنابق في واجهة محل الزهور في تورنتو، وكيف وقف أمامها مصعوقاً.

ـ أردت أن أرسل لك كل زهرة منها. وقد أرسلت إليك فعلاً دزينتين ولكنني تأخرت في إرسالها لأنك تركت الشقة قبل ذلك. ثم عدت إلى المكتب لأطلب من ماري لو أن تحجز لي سفراً إلى نيو أورليانز وهناك فتحت بريدي فوجدت رسالة من فيكتور فيها صورة التوأم ووالديهما.. لكنني لم أكن بحاجة إلى دليل.. صدقيني آديل.. لم يتغير رأيي بسبب الصورة بل بسبب معرفتي بك فما عرفته عنك تضافر إلى اقتناع واحد حتى تأكدت من شيء واحد هو أنك لم تكذبي علي.

ـ يسرني ما أسمع.. كان بمقدوري أن أريك الصورة.. ولكنني لم أرغب في ذلك إذ أردت منك أن تتعلم الثقة بي.. لوغان، هل تسديني خدمة؟

ـ إن كنت قادراً على ذلك.

ـ هل تشتري لي غداً باقة زنابق بربة كبيرة؟

ـ ألم أقل لك إنني سأشتري لك محلاً بأكمله.

بدا الضحك في عينيه فانقلب قلبها رأساً على عقب.

أضاف: سأعدك بشيء آخر آديل.. في الصيف القادم، حين تزهر هذه الأزهار في منزلي في نوفاسكوتيا أعد أن نكون هناك لنراها معاً.. والصيف التالي والتالي.

بدت تلك فكرة رائعة لآديل.

* * *



بلا عنوان
www.Rewity.com
WWW.REWITY.COM